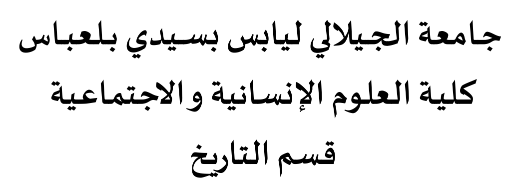

جامعة الجيلالي ليابس بسيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ





مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص حضارة المغرب الأوسط

# ابن الآبار البلنسي في بجاية

## من خلال كتابه صلة التكملة


إعداد الطالب :

- زياني خليدة

تحت إشراف الأستاذ:

- هلايلي حنيفي


لجنة أعضاء المناقشة

أ. زين محمد ................................قسم العلوم الإنسانية................رئيسا

أ. د.هلايلي حنيفي..........................قسم العلوم الإنسانية................مشرفا و مقررا

أ. د.صحراوي عبد القادر...............قسم العلوم الإنسانية...............مناقشا

2017-2016

1438/1437



# شكـرا و تـقـديـر

أشكر أولا وقبل كل شي لله رب العالمين

الذي خلق وهدى و انعم علينا بنعم لانحصي لها عددا

ونستطيع لها ثناء فالحمد والشكر له المولى ونعم النصير

أتوجه بالشكر الجزيل ووافر الامتنان والعرفان

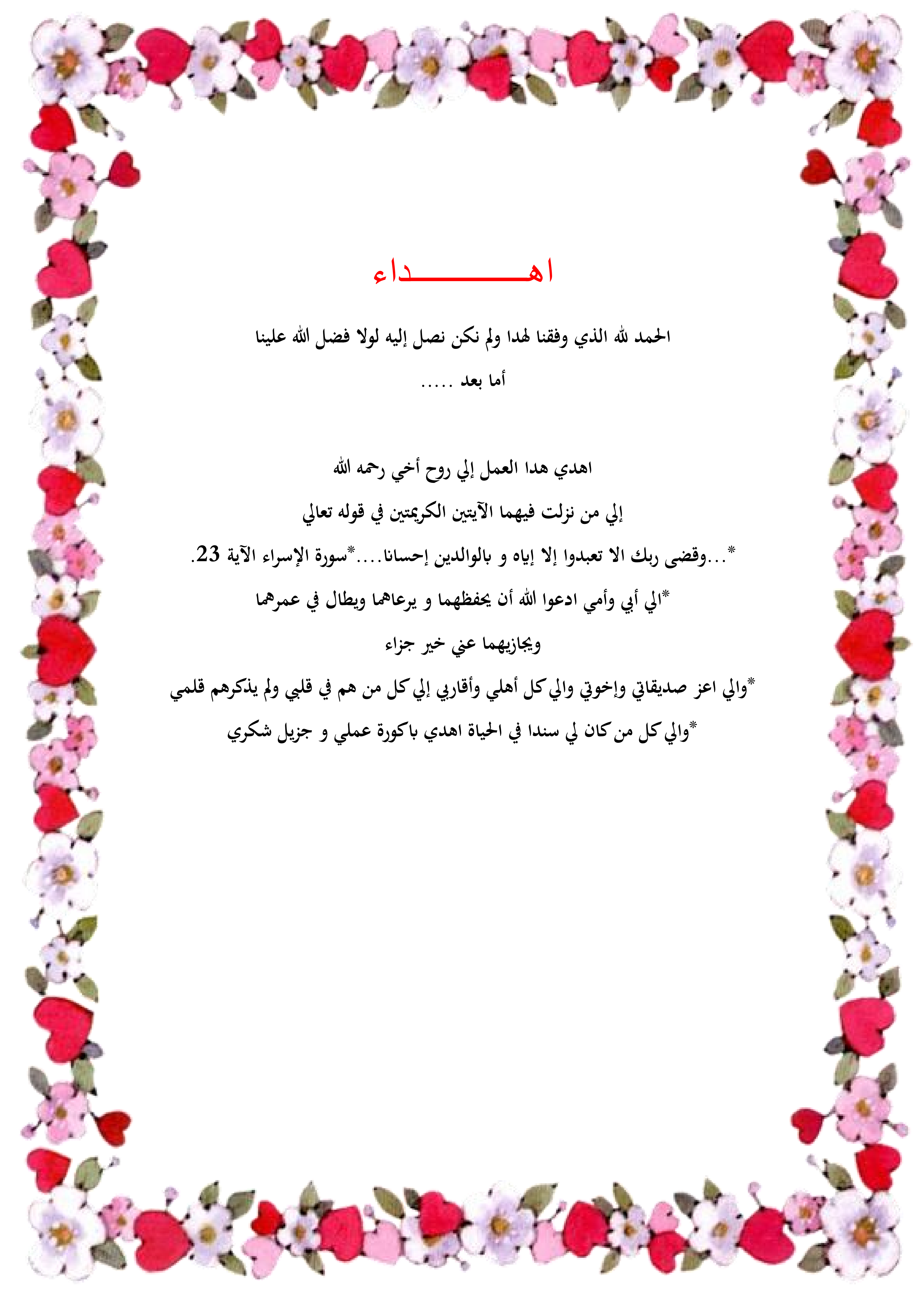
إلى كل من ساعدني من قريب او بعيد لانجازهذا العمل المتواضع

واخص بالذكر الدكتور المشرف هلايلي حنيفي

الذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة التي مهدت لي الطريق

لانجاز هذا البحث المتواضع .

اشكر جزيل الشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرة علي الجهود المبذولة



# اهــــــــــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهدا ولم نكن نصل إليه لولا فضل الله علينا

أما بعد .....

اهدي هدا العمل إلي روح أخي رحمه الله

إلي من نزلت فيهما الآيتين الكريمتين في قوله تعالي

*...وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا....*سورة الإسراء الآية 23.

*الي أبي وأمي ادعوا الله أن يحفظهما و يرعاهما ويطال في عمرهما

ويجازيهما عني خير جزاء

*والي اعز صديقاتي وإخوتي والي كل أهلي وأقاربي إلي كل من هم في قلبي ولم يذكرهم قلمي

*والي كل من كان لي سندا في الحياة اهدي باكورة عملي و جزيل شكري

استقطبت مدينة بجاية خلال القرن السابع الهجري/ الثامن ميلادي أعدادا معتبرة من العناصر الأندلسية ذات العلاقة المباشرة بالمعرفة التاريخية، والتي استقرت بالمدينة إما بصفة مؤقتة أو بصفة دائمة هذه الأخيرة ارتكز نشاطها على تدريس مجموعة من المؤلفات الإخبارية على جملة من طلبة الحلقة، تباينت أصولهم بين عناصر بجائية أصلية وأخرى وافدة.

وبالعودة إلى المعطيات التاريخية المتناثرة في ثنايا كتب البرامج وفهارس الشيوخ يضاف إليها كتب التراجم والطبقات، تنكشف لنا أهمية العنصر البشري في التفاعل الحضاري بين العدوتين؛ وذلك بتسليط الضوء على الجالية الأندلسية خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي في بجاية، ودورها في تفعيل الحقول التاريخية من خلال تصدرهم للإقراء وتدريسهم مجموعة من المؤلفات على جملة من التلاميذ سواءا من المغرب الأوسط أو الواردين إليه، والذي أثر على المسار العام في تنامي الوعي التاريخي في بجاية خلال هذا القرن؛ أين نرقب ارتباطه بالمدرسة الأندلسية ممثلة في أبرز شيوخها بالمدينة ألا وهو التاريخي ابن الأبار البلنسي.

ومن دون تردد يمكن القول أن هذا الشيخ الفقيه يعتبر من أبرز العناصر الأندلسية النشطة في بجاية خلال القرن السابع الهجري بعدما نزح مكرها عن الأندلس بعد سقوط مدينته"بلنسية" سنة ست مائة وست وثلاثون للهجرة، فالتجأ إلى الإمارة الحفصية الفتية مستنجدا بسلطانها أبي زكرياء أهل للاضطلاع بمهام ومناصب راقية في بلاط الملوك.

ومن خلال هذا حاولت تسليط الضوء أكثر على بصمته الفكرية في بجاية أثناء إقامته الدائمة بها من خلال ما أبدعه من مؤلفات

شعرية كانت أم أدبية؛ ومدى مساهمته في إخصاب فكر الطلاب في بجاية.

ولعل من أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع هو الكشف عن الإسهام الفكري للمؤرخ ابن الأبار البلنسي في بجاية ، وكذا إبراز دوره في تفعيل النشاط التاريخي بالمنطقة، ومحاولة إظهار مدى تأثير الأوضاع السياسية على الحركة العلمية ببلاد المغرب الأوسط عامة وببجاية خاصة، وأيضا لتبيان أهمية الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط. ومن هذا المنطلق كان اختياري لهذا الموضوع اعتمادا على عوامل موضوعية متعلقة بأهمية البحث في هذا المجال بالإضافة إلى قناعات وميول شخصية وهي رغبتي في المساهمة في كتابة تاريخ المغرب في العصر الوسيط وأن يكون هذا العمل إضافة معرفية للمكتبة.

وانطلاقا من هذا تظهر إشكاليتي الجوهرية؛ والتي تكمن في غياب إشارات صريحة في المصادر الإخبارية التي اهتمت بالترجمة له، تؤكد قيامه بتدريس مؤلفات تاريخية في المنطقة حتى نستطيع تقييم نشاطه التاريخي، وهو ما يدفعنا إلى التفتيش عن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء ذلك. هل يعود إلى كون طبيعة التراجم والطبقات؛ التي غالبا ما تركز اهتمامها على ذكر شيوخ وتلامذة صاحب الترجمة إجمالا دون الخوض في تفاصيل المواد المدرسة وأماكن الدرس، التي هي في الأصل من اختصاص كتب البرامج وفهارس الشيوخ، أم أن الأمر يتعدى ذلك؟

وتنطوي تحت إشكاليتي الرئيسية عدة تساؤلات فرعية ليكون لها أثر في تسهيل الدراسة لهذا الموضوع والتي يمكن إيجازها في المطالب التالية:



- من هو ابن الأبار البلنسي؟ وما هي أبرز مميزات عصره؟ وما هي جوانب نبوغه وأبرز مؤهلاته العلمية؟
- ماهي دوافع هجرته إلى الدولة الحفصية؟
- ما هي أهم موضوعات كتابه "التكملة"؟ وما المنهج الذي اعتمده في كتابته؟
- وإلى أي مدى ساهم ابن الأبار في إثراء الحياة الفكرية أثناء إقامته ببجاية؟

أما المنهج المتبع في هذا البحث كان المنهج التاريخي، حيث اعتمدت على ما تيسر إلينا الوصول إليه من مصادر ومراجع ذات الصلة بالموضوع في تتبع مراحل حياة ابن الأبار البلنسي وتاريخ الفترة التي عاشها، واعتمدت أيضا على المنهج الوصفي التحليلي والمتمثل في الوقوف على المصادر التاريخية المتصلة بالموضوع واقتباس المادة العلمية منها، ثم مقارنتها وتحليلها اعتمادا على عدة مراجع منها المتخصصة والعامة.

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعت خطة بحث مكونة من مقدمة وثلاثة فصول فخاتمة، تناولت في كل فصل جملة من النقاط.

أما **الفصل الأول** فخصصته لحياة ابن الأبار وآثاره العلمية،حيث ارتكز البحث في ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول شمل التعريف بحياته من مولده ونشأته وأخلاقه ومكانته بين أهل عصره ووفاته، أما المبحث الثاني فقد تضمن آثاره العلمية والأدبية من مؤلفاته وتلامذته وشيوخه، أما المبحث الأخير فخصص لعصر المؤرخ بنا الأبار ومميزاته السياسية في الأندلس وفي المغرب.

أمـــا **الفصـــل الثـــاني** فخصصـــته لكتابـــه "تكملـــة الصـــلة"، وتركّـــز هـــو الآخـــر فـــي ثلاثـــة مباحـــث؛ فتضـــمن المبحـــث الأول منـــه علـــى مـــنهج ابـــن الأبـــار فـــي كتابـــه، وفـــي المبحـــث الثـــاني تناولـــت موضـــوعات كتـــاب التكملـــة، ثـــم تلـــي ذلـــك المبحـــث الثالـــث الـــذي شـــمل دراســـة إحصـــائية لتـــراجم الكتاب.

أمـــا **الفصـــل الثالـــث** والأخيـــر فخصصـــته لابـــن الأبـــار فـــي بجايـــة الحفصـــية ، وقـــد أدرجتـــه بمبحثـــين فتطرقـــت فـــي المبحـــث الأول إلـــى الأوضـــاع السياســـية والثقافيـــة فـــي بجايـــة خـــلال القـــرن الســـابع للهجـــرة/ الثالـــث عشـــر مـــيلادي، والمبحـــث الثـــاني عرضـــت فيـــه نزولـــه فـــي بجايـــة الحفصية وبساطته فيها.

وختمـــت بحثـــي بخاتمـــة ضـــمنتها أهـــم الاســـتنتاجات التـــي توصـــلت إليها من نتائج حول موضوع الدراسة.

اعتمـــدت فـــي هـــذا البحـــث علـــى مجموعـــة مـــن المصـــادر، وقـــد تفاوتـــت فـــي قيمتهـــا التاريخيـــة مـــن حيـــث أن بعضـــها لهـــا علاقـــة مباشـــرة بموضـــوع البحث، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

**كتب التراجم والطبقات:**

- كتـــاب **"نفـــح الطيـــب مـــن غصـــن الأنـــدلس الرطيـــب وذكـــر وزيرهـــا ابـــن الخطيـــب"** لأبـــي العبـــاس أحمـــد المقـــري التلمســـاني ( ت 1041هـــ/ 1631م) وهـــو عبـــارة عـــن موســـوعة تـــراجم لأدبـــاء وفقهـــاء المغـــرب والأنـــدلس، وهـــو مـــن أهـــم المصـــادر التـــي اعتمـــدنا عليهـــا فـــي البحـــث، حيـــث تكمـــن أهميتـــه فـــي كونـــه أمـــدنا بالترجمـــة الوافيـــة عـــن ابـــن الأبـــار، كمـــا لخص لنا هجرته العلمية.

- كتاب **"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"** لمؤلفه أبو العباس أحمد الغبريني (ت 704ه/ 1304م)، وهو عبارة عن تراجم لمشاهير وأعلام بجاية من شيوخ العلم ورجال الدين الذين اشتهرت بهم في القرن 7ه/ 13م، وقد اعتمدنا عليه في ترجمة **ابن الأبار البلنسي** وتلامذته ببجاية، وتصوير الحركة العلمية بها.

إضافة إلى هذا كانت الاستفادة من مصادر أخرى منها كتاب **" زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر"** للتجيبي أبو بحر صفوان بن إدريس، الذي أعده وعلق عليه عبد القادر محداد، وكتاب **" تاريخ إسبانيا الإسلامية ( أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام )"**، لابن الخطيب لسان الدين، تحقيق ليفي بروفنسال، ولا نستثني في هذا العرض كتاب "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، الذي ساهم في تسهيل عملية البحث إذ جاء بتراجم مختصرة مع ذكر مصادرها ومراجعها في الهامش.

**كتب التاريخ العام:**

- مؤلفات ابن الأبار البلنسي **" الديوان"**، **"المقتضب من تحفة القادم"**، **"الحلة السيراء"**، وكانت الاستفادة منها في رصد إنتاجه الفكري، وكذا الاستفادة من كونه ترجم لشيوخ وعلماء الأندلس والمغرب.
- كتاب **" العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** لعبد الرحمن بن خلدون (ت808ه/ 1406م)، فكانت الاستفادة منه في رصد الأوضاع السياسية التي ميزت عصر **ابن الأبار البلنسي** كون صاحبه خبير بمنطقة المغرب الإسلامي، كما تعد "المقدمة" لكتاب العبر من

المصادر الهامة لهذه الدراسة لكونها تضمنت الجانب الثقافي والعلمي في العالم الإسلامي عامة.

**الدراسات الحديثة:**

تكملة لما أوردته من المصادر، فقد استعنت بمجموعة من المراجع والدراسات الحديثة المنشورة، والتي ساهمت في كتابة الموضوع من زوايا مختلفة، ومن أهمها كتاب **"الموحدون في الأندلس"** لعبيدات داود عمر سلامة، وكتاب **"التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق"** للأنصاري محمد السعيد، وكتاب **" تاريخ المغرب والأندلس"** للعبادي أحمد المختار.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت ابن الأبار القضاعي، فهي قليلة كما سبق الذكر فيما نعلم فقد ألف عبد العزيز عبد المجيد كتابا حول ابن الأبار بعنوان ابن الأبار حياته وكتبه دون أن يشير إلى إبداعه الشعري، كما قام الدكتور العلمي لراوي بتناول ابن الأبار بالدراسة و البحث في رسالته لنيل درجة الدكتوراه حيث دار القسم الأول منها حول حياة ابن الأبار و كتبه.

ولقد اعترضتني بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث، وهذه سمة من سمات البحث التاريخي تتمثل في مشكل الاتصال بكل المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، فاستجلاء الحقيقة التاريخية غالبا ما يتطلب الحيطة والتثبت في استقراء المعلومات من المصادر والمراجع التاريخية وتمحيصها بناء على الاستقراء والتحليل والمقارنة لاسيما فيما يتعلق بتاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

**تمهيد**

من أجل الاقتراب أكثر من المؤرخ ابن الأبار والتعرف على الظروف والملابسات الحياتية لديه؛ وجب الوقوف عند أهم مراحل حياته، والتعرف على محطاتها الكبرى بدء بمولده ووصولا إلى وفاته وآثاره العلمية، والتي كان لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته وصقل إنتاجه الفكري.

كما تتطلب دراسة حياته الوقوف على الأحوال السياسية والأحداث المتعاقبة والتي ساهمت وبحد كبير إيجابا وسلبا في تشكيل المسار العام الذي حرك حياة ابن الأبار وخلق مجالا رحبا وواسعا له خلال القرن السابع الهجري، في كل من الأندلس والمغرب.

**المبحث الأول : حياة ابن الأبار**

**أولا: مولده ونشأته**

**1-مولده:**

قبل التطرق إلى مولد ابن الأبار يجب معرفة أصوله ومن أي نسب ينحدر "فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي* البلنسي، اشتهر بلقب ابن الأبار".[1]

و يتحدث الصفدي (ت 764 هـ /1363 م) عن نسب ابن الأباربشيمن التفصيل مع اختلاف طفيف قائلا :" ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر الحافظ العلامة أبو عبد الله القضاعي ) البلنسي الكاتب الأديب المعروف بابن الأبار و الأبار ".[2]

وقد أجمعت جل المصادر التي ترجمت لابن الأبار على هذا النسب ، مع بعض الفوارق في إيراد الترجمة طولا و قصرا. ويظهر جليا من هذه التراجم : أن اسمه محمد ، و كنيته أبو عبد الله و لقبه ابن الأبار ، أو الأبار.

و ذكر بعض الدارسين الذين تعرضوا لحياته : أن هذا اللقب أطلقه عليه خصومه لسوء هيأته و لباسه ، و بذاءة لسانه وحدته ومن هؤلاء نجد إبراهيم الأبياري محقق كتاب "المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار"، حيث ذكر في مقدمة التحقيق: أن هذا اللقب

*القضاعي: نسبة إلى قبيلة قضاعة العربية اليمنية، ويقال لبني قضاعة وهم قبيلة حمير من القحطانية، وهذا هو المشهور في قضاعة، وعليه جرى ابن إسحاق وغيره من النسابين. للمزيد ينظر/ محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، ص 19.

[1]ابن الأبار، الديوان، ( مقدمة المحقق )، تحقيق/ عبد السلام الهراس، ط2، الدار التونسية للنشر/ ديوان المطبوعات الجامعية، تونس/ الجزائر، 1986م، ص 9.

[1] الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيات، جـ3 ، ط 2، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، ألمانيا، 1991م، ص 355.

أطلِق على أبي عبد الله لصفات كان يتصف بها منها: أنه خبيث اللسان إذا هجا، وأنه أشبه شيء بالفأر في إيذاء خصومه و الكيد لهم في الخفاء، بالإضافة إلى دمامة منظره ورثاثة هيئته.[1]

((ولد ابن الأبار في مدينة بلنسية (Valencia) التي أنجبت كثيرا من العلماء و الشعراء و الشخصيات، وذلك في فجر يوم جمعة في أحد شهري ربيع سنة 595هـ/ يناير سنة 1198م )).[2]

وقد أكدت جل المصادر والمراجع التي ترجمت لابن الأبار هذا التاريخ، غير أن هناك من أورد تاريخا آخر لمولده، فقد ذكر الغبريني في عنوان الدراية تاريخا آخر لمولد الشاعر مخالفا لما أجمعت عليه معظم المصادر هو(575هـ).[3]

وقد يرجع هذا الخلاف حول سنة مولد ابن الأبار بين الغبريني وبقية أصحاب كتب تراجم الأعلام، إلى التصحيف والتحريف الذي لا يستبعد وقوعه في بعض النسخ المخطوطة لكتاب عنوان الدراية، إذ يستبعد أن يصدر هذا الخطأ من الغبريني نفسه المشهود له بالحصافة والدقة والأمانة والضبط، بالإضافة إلى قرب عصره من العصر الذي عاش فيه ابن الآبار.

وإذا كان الخلاف قد حصل بين المصادر التي ترجمت لابن الأبار حول تاريخ مولده ؛ فإن ذلك لم يحصل حول مكان ولادته فقد أجمعت كل المصادر التي في أيدينا، أن مولده كان في بلنسية إحدى مدن شرق الأندلس وقواعدها الكبرى وقد وصفها المقري التلمساني بقوله : (( تعرف بمطيب الأندلس ، ورصافتها من أحسن متفرجات الأرض، و فيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء و

---

[1]بتصرف/ ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية/ دار الكتاب المصري/ دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1982م، ( مقدمة التحقيق) ، ص 16.
[2]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 9.
[3]بتصرف / الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق/ رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1970م ، ص 309 .

الرونــــق ، ويقـــال إنـــه لمواجهـــة الشـــمس لتلـــك البحيـــرة يكثـــر ضـــوء بلنسـية إذ هــي موصــوفة بــذلك ...ولــم تخلــو مــن علمــاء ولا شــعراء، ولا فرســان يكابــدون مضــايق الأعــداء ... أهلهــا أصــلح النــاس مــذهبا وأمتنهم دينا، وأحسنهم صحبة، وأرفقهم بالغريب))[1]

ومهمــا يكــن مــن أمــر الخــلاف الحاصــل حــول تــاريخ مــيلاد ابــن الأبــار، فإنـــه مـــن الـــراجح أن مولـــده كـــان فـــي نهايـــة القـــرن الســـادس الهجــري، الــذي شــهد أحــداثا كبــرى فــي الأنــدلس وصــراعات عنيفــة بــين المســلمين والصــلبيين الــذين بــدأ خطــرهم يــزداد يومــا بعــد يــوم، وشــرعوا فـــي حشـــد قـــواتهم وتوحيـــد كلمـــتهم تحـــت رايـــة الصـــليب؛ اســـتعدادا للانقضـــاض علـــى المســـلمين فـــي الأنـــدلس الـــذين بـــدأت أحـــوالهم فـــي التـــدهور، بســـبب الخلافـــات السياســـية الحـــادة بـــين العصـــب المتنافســـة على السلطة هنا وهناك.

**2-نشأته:**

بمدينـــة بلنســـية المشـــهورة بجمـــال طبيعتهـــا و اعتـــدال مناخهـــا ، وفـــي عائلـــة معروفـــة بـــالعلم و الثـــراء ، نشـــأ ابـــن الأبـــار تنشـــئة صـــالحة محاطـــا برعايـــة عائلتـــه التـــي وفـــرت لابنهـــا ظروفـــا تســـاعد علـــى النبـــوغ والتفـــوق فشـــب الشـــاعر شـــغوفا بالمعرفـــة ، حريصـــا علـــى طلـــب العلـــم ؛ فقـــد كـــان والـــده مـــن أعيـــان بلنســـية و علمائهـــا ، حيـــث يـــذكر محقـــق الـــديوان متحـــدثا عـــن الأجـــواء التـــي أحاطـــت الشـــاعر منـــد ولادتـــه : (( نشـــأ ابـــن الأبـــار فـــي بيئـــة تمتـــاز بجمـــال الطبيعـــة و بـــين أهـــل عرفـــوا بحســـن الطبـــاع و كـــرم النفـــوس و أناقـــة الأزيـــاء ، و فـــي جـــو علمـــي مثقـــف متفقـــه . كـــان والـــده مـــن علمـــاء بلنســـية ، لـــه علاقـــات و صـــلات علميـــة بعـــدد مـــن علمـــاء الأنـــدلس عمومـــا وشـــرقيها خصوصـــا . اشـــتهر بملازمتـــه لشـــيخ

1المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ 3، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ص589.

الأنـدلس أبـي الربيـع سـليمان الكلاعـي إذ كـان مـن أخـص بطانتـه وأدنـى صنائعه إليه))[1].

## ثانيا: شيوخه و تعليمه

### 1-شيوخه:

كـان المسـار التعليمـي لابـن الأبـار القضـاعي موفقـا إلـى حـد بعيـد فقـد سـاهمت العديـد مـن العوامـل فـي تكوينـه و صـقل مواهبـه ؛ الأمـر الـذي مكنـه مـن الحصـول علـى ثقافـة واسـعة و رصـيد معرفـي كبيـر ، و قـد عرفـت حياتـه التعليميـة محطـات مختلفـة بدايـة بأسـرته التـي لـم تـدخر جهـدا فـي تعلـيم ابنهـا و تزويـده بمختلـف المعـارف ، ثـم انتقـل مـن محيطـه التعليمـي الصـغير -أسـرته -لينـدمج و يمتـزج بفاعليـة كبيـرة فـي محـيط أوسـع منـه لـم تتوقـف حـدوده علـى مدينـة بلنسـية فحسـب بـل يتعداها إلى كل بلاد الأندلس.

(( بـدأ التحصـيل العلمـي مبكـرا ، إذ حفـظ القـرآن عـن والـده عبـد الله بـن أبـي بكـر ، اسـتمر فـي تحصـيل العلـوم وفـق نظـام التحصـيل المتبـع آنـذاك ، و هـو نظـام الاسـتماع و الإجـازة*، فأخـذ عـن مـا يفـوق مائـة شـيخ مـن فطاحـل علمـاء الأنـدلس هـؤلاء الـذين درس عـنهم ابـن الأبـار مباشـرة أو بطريقـة غيـر مباشـرة هـم قـادة العلـم فـي الأنـدلس ، حفـظ عـنهم القـرآن و تلاوتـه بـالقراءات السـبع ، روى عـنهم الحـديث والأخبـار و تعلـم عـنهم اللغـة ونحوهـا و الأدب و أجـازوه لفظـا و خطـا هذا يكشف المبلغ الكبير الذي بلغه في العلم))[2]

---

[1]ابن الأبار،الديوان ،المصدر السابق ، ص 9 .

* الإجازة عبارة عن شهادة أو إقرار من الشيخ أن التلميذ قد فهم كتابه الذي يدرسه له فهما جيدا و استوعبه استيعابا تاما ، و أصبح قادرا على تدريسه لغيره ، فهذا هو نظام الاستماع و الإجازة ، و تكون الإجازة إما لفظية أو مكتوبة أو كليهما معا ، و قد تكون الإجازة للصبيان و حديثي السن من باب التشريف ، يمنحها الشيخ بناء على ما يلاحظ على الطفل من استعداد فطري وذكاء وفطنة.

[2]العلمي لراوي، ابن الأبار بين التأليف والإبداع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، عدد 13، جوان 2000م، شركة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 223- 224.

لقد كان النظام التعليمي السائد في عصر ابن الأبار و ما قبله هو نظام الأخذ عن الشيخ سماعا سواء كان ذلك في المسجد أو بمنزل الشيخ ، فلم تكن هناك هياكل تعليمية مخصوصة ، و لا مؤسسات و هيئات رسمية تشرف على التعليم عكس ما هي عليه الحال في وقتنا الحاضر ، فقد كانت الأسرة هي المنوط بها مهمة تدريس و تعليم أبنائها، بحسب قدرتها المادية على ذلك و درجة الوعي لديها بأهمية التعليم ، الأمر الذي حرم الكثير من الأبناء من نيل قسط من العلم و المعرفة ، ومن هنا يمكن القول إن فرص التعليم كانت منحصرة - في الغالب - على أبناء الطبقات الميسورة الحال ، كأسرة ابن الأبار التي كان لها نصيبا من العلم وحظا من النعمة و فضلا من الثراء.

((ونعتقد أن أول من جلس إليه يتعلم عليه، هو والده يتعلم عليه القرآن بقراءة نافع ويسمع منه الأخبار والأشعار، فهو المعلم الأول لابنه، فبعد أن حفظ عليه وأمتحنه وتأكد من استيعابه وتمثله لما تحصل عليه، منحه جميع كتبه ثم سمح له بمصاحبته للأخذ من الشيوخ الذين روى عنهم الوالد وانفرد الولد بالأخذ عن شيوخ آخرين لم تتح الفرصة للوالد أن يجالسهم بحكم مهامه المختلفة.)) [1]

ثم كانت المرحلة التعليمية الموالية في حياة ابن الأبار، فبدأ يتردد على حلقات الدرس والتي غالبا ما كانت تعقد بالمساجد عقب كل صلاة أو بمنازل الشيوخ والأساتذة المتصدرين للتدريس، ويتنقل من بلدة لأخرى طلبا للعلوم وتحصيلا للمعارف المتاحة في ذلك العصر .

((ولم يكتف ابن الأبار بالدراسة على علماء بلنسية، بل قام برحلة طويلة جاب بها الأندلس، وأصبح يجمع إلى تضلعه في الحديث

[1] الراوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الأبار- حياته ومؤلفاته ودراسة فنية لشعره، مخطوطة رسالة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 1997- 1998م، ص 19 .

ثقافة جامعة لعلوم عصره، ثم عاد أخيرا ولما يبلغ الثلاثين من عمره))[1]

إن كثرة الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن الأبار و ما يمتازون به من التحصيل و تنوع المعارف و العلوم لديهم ، قد ساهم في تكوينه و اكتسابه ثقافة موسوعية ثرية و حافلة .

(( فهو قد درس على شيوخ كثيرين يردد أسماءهم في مؤلفاته و ينقل عنهم أمثال أبي عبد الله بن نوح ، و أبي جعفر الحصار ، و أبي الخطاب بن واجب وأبي الحسن بن خيرة ، و أبي سليمان بن حوط ، و أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة ، و يمكننا أن نعد أبا الربيع بن سالم في طليعة شيوخ ابن الأبار فقد لزمه قرابة عشرين عاما ، و أبو الربيع أكبر محدث في عصره ، و أشهر علماء الأندلس في زمانه ، و هو الذي علم ابن الأبار صناعة الكتابة و أورثه إياها)).[2]

و قد ترجم ابن الأبار نفسه في بعض كتبه للكثير من العلماء و الشيوخ الذين كان لهم الفضل الكبير في تعلمه و تكوينه في مختلف العلوم و الفنون ، و من بين هؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم:

**ـ محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقي :** هو من أهل بلنسية و علمائها ، ولد سنة(530هـ) ، وتعلم على خيرة مشايخها ، و زاحم العلماء و الفقهاء ، توفي سنة(608هـ) ، و كان محدثا حافظا و عالما بالأنساب و الأخبار و القراءات ، اشتغل بالقضاء في بعض مدن الأندلس و إماما خطيبا بجامع بلنسية مدة و طال عمره حتى أخذ عنه الآباء و الأبناء[3]

---

[1]محمد يوسف مقلد، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، ط1، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، بيروت، 1962م، ص 321.

[2]محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص 321 .

[3] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، جـ 2، تحقيق/ السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1956م، ص 582- 584 .

كما(( كان من الراسخين في العلم بارعا في العربية و الفقه و الإفتاء)). [1]

و يظهر بوضوح انطلاقا من تاريخ وفاة هذا الشيخ ، أن ابن الأبار قد أخذ عنه بعض العلوم و المعارف كالفقه و القراءات في بداية حياته الدراسية ، إذ توفي الشيخ و لم يتجاوز ابن الأبار الثالثة عشرة من عمره .

**ـ محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري النحوي :** من أهل بلنسية و كنيته أبو عبد الله ، قرأ عنه ابن الأبار قبل وفاته سنة(610هـ) ، أي قبل أن يبلغ سن الخامسة عشرة ، و يقول عنه أنه لم يكن يعتمد على النقل فقط بل كان يعمل العقل و المنطق ، عارفا بعلوم اللسان و متبحرا في العربية ، عاكفا على إقرائها و التعليم بها قائما على كتابتها بصيرا بصناعة الحديث مكبا عليه ، قرأ و أقرأ جمعا كبيرا و أفاد و استفاد كثيرا ، و قد نقلت من خطه ما نسبته إليه في هذا الكتاب " تكملة كتاب الصلة" و أجاز لي بلفظه و سمعت منه بعض نظمه ، و كان شاعرا محمودا.[2]

**ـ أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة :** من أهل شاطبة قدم إلى بلنسية في أول شوال سنة(610هـ) ، أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هديل و غيره من كبار العلماء ، سمع من أبي عبد الله بن سعادة و أبي حفص بن واجب لما جاء بلنسية أخذ عنه ابن الأبار و سمع منه و أجاز له ، توفي بشاطبة يوم الثلاثاء التاسع من شوال سنة(614هـ) بعد أن عمر طويلا فبلغ المائة سنة . [3]

---

[1]صلاح الدين الصفدي، المصدر السابق، جـ 2، ص 239

[2]بتصرف/ ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، جـ 1، ص 313 .

[3]بتصرف/ المصدر السابق، جـ 1، ص 313- 314 .

**- داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمان بن سليمان بن عمر ابن خلف بن عبد الله الرؤوف بن حوط الله الأنصاري الحارثي :** من أهل أندة وكنيته أبو سليمان و ولد بها سنة(552هـ) ، سكن مالقة و أخذ عن أبيه و أخيه و تجول ببلاد الأندلس للسماع من علمائها و الأخذ عن رواتها فزار بلنسية وشاطبة و مرسية و قرطبة ... و سمع و روى عن ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة و ابن زرقون و غيرهما من علماء الأندلس و فقهائها ، و كان شديد العناية بالرواية و لم يكن في وقته من يجاريه فيها ، ولي قضاء الجزيرة الخضراء ، ثم ولي قضاء بلنسية في آخر سنة(608هـ) ، توفي بمالقة و هو على قضائها سنة(621هـ).[1]

**- محمد بن ابراهيم بن مسلم البكري و يكنى أبو عبد الله :** هو من أهل بلنسية و قد أخذ العلم عن أبي عبد الله بن نوح و لازمه و أخذ عنه العربية والآداب و علم بها ، و كان مقدما حسن التعليم و أخذ عنه ابن الأبار علوم اللغة قرأ عليه كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، و كان من أهل الديانة و النزاهة و الانقباض ، و توفي سنة(627هـ).[2]

**- محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر المكتِب :** من أهل بلنسية يكنى أبو حامد ، أخذ القراءات عن أبيه ، و سمع من أبي العطاء بن نذير و أبي عبد الله بن نسع كثيرا و من غيرهما و أدب بالقرآن ، و هو معلمي و عنه أخذت قراءة نافع و به انتفعت في صغري ، و سمعت منه و أجاز لي ، و سمع مني كتاب "معدن اللجين في مراثي الحسين من تأليفي ، و كان ناشئا في الصلاح محافظا على الخير متواضعا ، يجمع إلى جودة الضبط براعة الخط

[1]بتصرف/ المصدر نفسه، جـ 1، ص 316 .
[2]بتصرف/ المصدر نفسه، جـ 1 ، ص 986 .

و صلى بالناس الفريضة ، في مسجد رحبة القاضي - من داخل بلنسية - دهرا طويلا ، و كان من العدالة و النزاهة بمكان ، و رحل حاجا في سنة(632هـ) ، فمرض بالإسكندرية أو في طريقه إليها و توفي بعيذاب - قاصدا بيت الله الحرام - في آخر سنة(633هـ).[1]

- **أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي :** هو الحافظ المحدث الشهير سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي ولد ببلنسية سنة 565)هـ) فاق أهل زمانه في علم الحديث والرواية و كان له حظ وافر في الأدب و البلاغة و الخطابة و الشعر ، له الكثير من المؤلفات في شتى فنون الكتابة منها: الإكتفاء في مغازي الرسول (صلى الله عليه و سلم) و الثلاثة الخلفاء , كتاب مصباح الظلم و كتاب الأربعين و غيرها ، توفي شهيدا في موقعة أنيشة قرب بلنسية سنة (634 هـ) و قد كان لأبي الربيع سليمان الكلاعي الأثر الكبير في حياة ابن الأبار العلمية و الأدبية ، الأمر الذي جعله يردد اسمه في جل ما ألفه من كتب ، كما بكاه عند استشهاده بقصيدة من أجود ما قال في الرثاء.[2]

- **أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة البلنسي :** كان من مقرئي القرآن و من رواة الحديث ، و خطيب مسجد بلنسية و إمام الصلاة تقلد الإمامة أربعين سنة فيها ، و كان رجلا مجتهدا في طلب العلم بالأندلس و المشرق ...توفي في أواخر رجب سنة(634)ه.[3]

- (( **الشيخ أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي يحي ابن مطروح التجيبي :** و كان فقيها عارفا بالأحكام ، عاكفا على عقد الشروط من أهل الشورى و الفتيا أديبا شاعرا مقدما فكها

[1]ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، جـ 2 ، ص 635 .
[2] صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، المصدر السابق، جـ 15 ، ص 432- 436
[3]بتصرف/ ابن الأبار، المصدر نفسه، جـ 1، ص - 681 .

صـــدوقا فـــي روايتـــه . ســـمعت منـــه حكايـــات و أخبـــارا و أنشـــدني لنفســـه و لغيـــره كثيـــرا و أجـــاز لـــي غيـــر مـــرة لفظـــا جميـــع مـــا رواه و أنشـــأه تـــوفي الشـــيخ عنـــد المغـــرب مـــن ليلـــة يـــوم الجمعـــة التاســـع و لـــذي القعـــدة سنة(635هـ) و الروم محاصرون لبلنسية)).[1]

**- الشـيخ نـذير بـن وهـب بـن لـب بـن عبـد الملـك بـن أحمـد بـن محمـد بـــن نـــذير الفهـــري ، يكنـــى أبـــو عـــامر:** أخـــذ القـــراءات عـــن أبيـــه أبـــي العطـــاء ، و ســـمع منـــه و مـــن أبـــي بكـــر بـــن جـــزي ، و أخـــذ العربيـــة و الأدب عـــن أبـــي محمـــد بـــن عبـــدون ، و كتـــب إليـــه مـــن أهـــل المشـــرق جلـــة مـــن العلمـــاء الأفاضـــل ، عنـــي بعقـــد الشـــروط ، فلـــم يكـــن أحـــد يدانيـــه فـــي ذلـــك حســـن مأخـــذ ، و ســـهولة الألفـــاظ ، و براعـــة مســـاق مـــع المشـــاركة فـــي الفقـــه ، و كـــان قائمـــا علـــى الكامـــل للمبـــرد كثيـــرا مـــا ســـمعته يـــورد أشـــعاره ويســـرد مـــن حفظـــه أخبـــاره ، و ولـــي قضـــاء بعـــض المـــدن الأندلســـية ، و كـــان محـــدثا حافظـــا ، فأخـــذ عنـــه طـــلاب العلـــم ، و يـــذكر ابـــن الأبـــار أنـــه ســـمع منـــه كثيـــرا و أجـــاز لـــه لفظـــا و خطـــا ، بقـــي الأســـتاذ ببلنســـية حتـــى أخـــذها ملـــك أرغـــون ، فانتقـــل إلـــى مدينـــة دانيـــة و ولـــي قضاءها إلى أن توفي بها في منتصف شهر شعبان سنة(636)هـ.[2]

**- أحمـد بـن محمـد بـن عمـر بـن محمـد بـن واجـب القيسـي** : مـن أهـل بلنســية يكنـــى أبـــو الخطـــاب حامـــل رايـــة الروايـــة بشـــرق الأنـــدلس ، و آخر المحدثين المسندين .

ولـــد فـــي بلنســـية ســـنة(537هــ) و تـــوفي بمـــراكش ، قـــرأ ابـــن الأبـــار عـــن الشـــيخ أبـــي الخطـــاب الحـــديث و التـــاريخ حـــوالي ســـنة(609هــ) وأجـــاز لـــه غيـــر مـــرة خطـــا و لفظـــا و كـــان ابـــن الأبـــار يســـند إليـــه كثيـــرا من روايات الحديث و روايات الأخبار .

[1]ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، جـ 2، ص 517 .
[2]بتصرف/ المصدر نفسه، جـ 2، ص 424- 425 .



ولـــي أبـــو الخطـــاب القضـــاء فـــي بلنسـية و شــاطبة ، اختصـــر تـــأليف ابـــن بشـــكوال فـــي الغـــوامض و المبهمـــات و رتبـــه ترتيبـــا مفيـــدا واختصـــر كتاب الفصل للوصـــل المدرج في النقل لأبي الخطيب .[1]

لقــد كـــان شـــيوخ ابـــن الأبـــار القضـــاعي الـــذين تنـــاوبوا علـــى تدريســـه و تعليمـــه مختلـــف العلـــوم و الفنـــون ، ســـواء كـــان ذلـــك ببلنســـية - مســـقط رأســـه - أو خارجهـــا كثيـــرون ، ولـــن تســـتطيع هـــذه المـــذكرة أن تحـــيط بهـــم و إن حرصـــت علـــى ذلـــك ، فقـــد ألمحنـــا إلـــى بعضـــهم و خاصـــة إلـــى مـــن كـــان لهـــم الأثـــر الكبيـــر علـــى المســـار التعليمـــي لابـــن الأبـــار الـــذي اغترف من معينهم و لم يفتأ يردد أسماءهم في ثنايا كتبه.

## 2-تعليمه:

لقـــد جنـــد والـــد ابـــن الأبـــار كـــل مـــا فـــي وســـعه مـــن الوقـــت و الجهـــد واســـتغل جـــل معارفـــه و علاقاتـــه مـــن أجـــل تنشـــئة و تعلـــيم ابنـــه وتوجيهـــه الوجهـــة الصـــحيحة ، فقـــد كـــان يطمـــح أن ينـــال ابنـــه مكانـــة مرموقـــة بـــين أقرانـــه و معاصـــريه ؛ و أن يتبـــوأ أعلـــى الـــدرجات العلميـــة ، فيحقـــق الوالـــد مـــن خـــلال الولـــد كـــل رغباتـــه التـــي عجـــز هـــو عـــن تحقيقهـــا فـــي بيئـــة كانـــت تقـــدر العلـــم و تجـــل العلمـــاء وتعتـــرف لهـــم بالفضـــل و ترعـــى لهـــم المكانة .

و يظهـــر أن ابـــن الأبـــار كـــان الولـــد الوحيـــد فـــي أســـرته ، فلـــم تحـــدثنا المصـــادر التـــي ترجمـــت لـــه علـــى كثرتهـــا - أن لـــه إخـــوة ، الأمـــر الـــذي جعله يحظى بكامل الرعاية من أسرته و والده على الخصوص .

فقـــد (( اهـــتم الوالـــد بتوجيـــه ولـــده محمـــد الـــذي كـــان - فيمـــا يبـــدو - ولـــده الوحيـــد وحـــرص علـــى أن يـــوفر لـــه كـــل الظـــروف و الفـــرص لطالـــب العلـــم ، و مـــن ذلـــك أنـــه كـــان يصـــحبه معـــه إلـــى مجـــالس العلـــم و زيـــارة

[1] بتصرف/ ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، جـ 1، ص 106 .

العلماء و يستجيز له الأعلام و هو بعد لم يتجاوز مرحلة الطفولة و الصبا))[1].

و ليس غريبا على والد ابن الأبار أن يكون حريصا أشد الحرص على توفير الأجواء الملائمة لابنه من أجل طلب العلم و تحصيل المعارف ، فقد كان هو نفسه من المثقفين الملازمين للعلماء و المترددين على حلقات الدرس.

((عرف ابن الأبار بالجد و المثابرة و البحث و الاستقصاء ، و لم يقتصر في الأخذ عن شيوخ بلنسية و شرقي الأندلس بل نراه يقوم برحلة علمية عبر بعض المدن الأندلسية للدراسة و الأخذ و ذلك أثناء حياة والده))[2].

و هكذا فقد ورث ابن الأبار عن أبيه روح الجد و التفاني في تحصيل العلم والمعرفة و تحقيق الأهداف بصبر لا يفتر و عزيمة لا تلين ، يدفعه في ذلك شغف العلم و نهم المعرفة ، و لم يتوان في سبيل ذلك على المغامرة و ركوب المخاطر ، فقد تجشم عناء السفر و الارتحال عبر كامل ربوع الأندلس للدراسة و الأخذ عن كبار علمائها.

لقد كان ابن الأبار شعلة من الذكاء و النباهة ، الأمر الذي مكنه من تحصيل العلوم و المعارف المتاحة في عصره في شتى المجالات ، فقد فاق الكثير من معاصريه في الأندلس و خارجها وطبقت شهرته الآفاق ، و عمل حكام الممالك والأمصار على تقريبه منهم و ضمه إلى بطانتهم و مستشاريهم.

((و يظهر من خلال ما قاله ـ ابن الأبار ـ عن نفسه أنه على قدر كبير من الذكاء و الفطنة ، فقد بدت عليه سمات النباهة منذ طفولته

---

[1]المصدر السابق، ص9.
[2]ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ص 9.

الأولى على غير عادة الأطفال إذ من العادة أن يظهر الاستعداد للتحصيل العلمي في العام الخامس و السادس لكن ما حدث مع الشاعر أنه ما إن بلغ عامين حتى أجاز له القاضي أبو بكر بن أبي جمرة جميع روايته))[1].

و إذا كان موضوع ذكاء ابن الأبار أمرا مقبولا بل راجحا ؛ للجو العلمي الممتاز الذي أحيط به منذ ولادته ، فإن مسألة حصوله على إجازة من أحد العلماء و هو لم يتجاوز العامين من عمره مسألة لا يمكن تقبلها بسهولة ، و يزداد الأمر صعوبة إذا صدرت هذه الإجازة من طرف عالم يعرف قيمة العلم و جدارة من يحمله لأن ذلك يخالف العادة و يناقض المنطق السليم ، إلا إذا كان حصول هذا الأمر يرتبط بعلاقات والده و صلاته بعلماء الأندلس ، فتمكن من الحصول لابنه على هذة الإجازة استثناء ، و هذا يعني أن إجازة ابن الأبار المبكرة لا يمكن أن تقوم دليلا على ذكائه و فطنته بأي وجه من الوجوه ، ذلك أن الحصول على إجازة العلماء ليس بالأمر اليسير حصوله ، حتى للذين قطعوا أشواطا معتبرة في طلب العلم.

غير أن حقيقة الموضوع هي أن هذه الإجازة المبكرة ، كانت موجهة في الأصل لوالد ابن الأبار

و أضيف اسم الابن فيها إلى أبيه تكرما ، فقد ذكر ابن الأبار أن أبا بكر بن أبا جمرة كتب لوالد ابن الأبار يجيز له جميع روايته و ألحق في الإجازة الولد بالوالد[2].

((كانت حياة ابن الأبار العلمية حافلة و جليلة و لذلك لا يأخذنا العجب إن رأيناه يأخذ عن أكثر من مائتي شيخ خلال حياته . ولم يكن يستنكف عن الاستفادة ممن هم أقل منه علما و مكانة ، و كانت

[1] العلمي لراوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضائي البلنسي الشهير بابن الأبار ( 595هـ - 658هـ 1199م - 1260م ) حياته و مؤلفاته و دراسة فنية لشعره، المرجع السابق، ص 19.
[2] بتصرف/ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، جـ 2، ص 889 .

لـــه علاقـــة مـــع علمـــاء غيـــر أندلســـيين كالشـــيخ عبـــد العظـــيم المنـــذري صـــاحب الترغيـــب و الترهيـــب . و لـــم يعقـــه عـــن مواصـــلة الأخـــذو الطلـــب إلا رمـــاح تناوشـــت جســـمه لتنتـــزع منـــه روحـــه و تقضـــي علـــى تلك الهمة الجبارة ))[1].

لقـــد كـــان ابـــن الأبـــار محظوظـــا خـــلال مســـيرته العلميـــة حيـــث تـــداول علـــى تعليمـــه وتكوينـــه هـــذا العـــدد الجـــم مـــن خيـــرة شـــيوخ الأنـــدلس و علمائهـــا ، فـــلا عجـــب - و الحـــال هـــذه - أن يكتســـب الشـــاعر ثقافـــة واســـعة و زخمـــا علميـــا كبيـــرا كـــان لـــه الأثـــر البعيـــد فـــي غـــزارة التـــأليف لديـــه فـــي مختلف مجالات العلم و المعرفة.

**ثالثا: رحلاته**

عـــرف ابـــن الأبـــار القضـــاعي فـــي حياتـــه الرحلـــة و ألـــف الســـفر و التنقـــل ، و كـــان ذلـــك لطلـــب العلـــم أو لـــدواعي السياســـة التـــي اشـــتغل بهـــا فبعـــد أن أخـــذ بعـــض المـــعارف و العلـــوم فـــي مدينتـــه ، خـــرج يطـــوف فـــي حواضـــــر الأنـــــدلس و مراكزهـــــا الثقافيـــــة ، يدفعـــــه إلـــــى ذلـــــك طموحـــــه العلمي الذي تميز به منذ صغره.

لقـد كانـت رحلـة ابـن الأبـار الأولـى مـن أجـل طلـب العلـم ، فبعـد أخـذه عـــن شـــيوخ بلـــده بلنســـية شـــد الرحـــال و ولـــى وجهـــه شـــطر المراكـــز الثقافيـــة المعروفـــة إذ ذاك بالأنـــدلس ، (( و لـــم يقتصـــر فـــي الأخـــذ عـــن شـــيوخ بلنســـية و شـــرقي الأنـــدلس ، بـــل نـــراه يقـــوم برحلـــة علميـــة عبـــر بعض المدن الأندلسية للدراسة و الأخذ و ذلك أثناء حياة والده))[2].

لقـــد أفـــاد ابـــن الأبـــار مـــن رحلتـــه هـــذه الشـــيء الكثيـــر ، حيـــث زار خلالهـــا معظـــم المـــدن الأندلســـية و مراكـــز الثقافـــة بهـــا ، و حصـــل مـــن

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 10 .
[2]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 9 .

العلـوم و المعـارف رصـيدا متميـزا مـا كـان ليتـأتى لـه لـولا سـفره هـذا الذي استغرق عدة سنوات.

(( عـاد إلـى بلنسـية عنـدما بلغـه نعـي والـده ، و خلفـه فـي مكانتـه لـدى أبـي الربيـع الكلاعـي الـذي أسـتأثر ابـن الأبـار بإعجابـه و حبـه حتـى أصبح أقرب تلامذته و أحب طلابه ))[1].

ويظهـر جليـا أن عـودة ابـن الأبـار مـن رحلتـه العلميـة الطويلـة ، قـد حـدثت و لمـا يتجـاوز الرابعـة و العشـرين مـن عمـره ، فقـد ذكـر هـو نفسـه عنـد ترجمتـه لأبيـه قـائلا : ((تـوفي ببلنسـية ـ و أنـا حينئـذ بثغـر بطليـوس ـ عنـد الظهـر مـن يـوم الثلاثـاء الخـامس لشـهر ربيـع الأول سنة(619هـ) ، و دفن لصلاة العصر من يوم الأربـعاء بعده ))[2].

أقـام ابـن الأبـار فـي بلنسـية بعـد مـوت أبيـه ملازمـا لشـيخ الأنـدلس أبـي الربيـع سـليمان الكلاعـي ـ صـديق أبيـه ـ الـذي عمـل علـى إلحاقـه كاتبـا فـي بـلاط حـاكم بلنسـية أبـي عبـد الله بـن أبـي حفـص الموحـدي ، ثـم لـدى ابنـه أبـي زيـد عبـد الرحمـان غيـر أن إقامتـه لـم تسـتمر طـويلا ، فقـد عـاد للسـفر و التجـوال مـن جديـد ، لكـن هـذه المـرة لـم تكـن رحلتـه لطلـب العلـم ، بـل كانـت رحلـة اضـطرارية لـدواعي السياسـة و مشـاكل الحكـم و الإدارة ، و كانـت وجهتـه بـلاد النصـارى ، و ذكـر محقـق الـديوان متحـدثا عـن هـذه الرحلـة السياسـية : (( و فـي سـنة ( 626هـ/ 1228م) التجـأ مـع سـيده المخلـوع هـذا إلـى بـلاد النصـارى الاسـبان ( الأرغونيين) ))[3].

و قـد أشـار ابـن الأبـار فـي شـعره إلـى رحلتـه هـذه إلـى بـلاد النصـارى مـع حـاكم بلنسـية المخلـوع ، محـاولا تبريـر مـا فعـل و

---

[1] المصدر نفسه، ص 10 .
[2] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، جـ 2، ص 891 .
[3] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 10 .

التخفيف من جسامة ذلك الخطأ الذي ارتكبه في حق نفسه و وطنه حيث يقول:

**قالوا الخروج لأرض الروم منقصة فقلت كلا و لكن صادها باء**

**إذا خرجت وفاء ثم عدت تقى أثنت بفعلي عداتي و الأحباء**

**وكان لي في قريش أسوة وكفى مع النجاشي ترضاها الألباء**[1]

و بالرغم من العناية التي حظي بها ابن الأبار إلى جانب الحاكم الموحدي المخلوع عند الأرغونيين ، إلا أنه لم يستطع إخفاء مرارة مغامرته السياسية التي قادته إلى أعداء بلده و أمته ، لكنه سرعان ما استدرك الموقف و رجع إلى الأندلس، بعد أن تأكدت له خيانة الحاكم الموحدي أبي زيد الذي ارتد عن الإسلام و اعتنق المسيحية.

((فلم يلبث إلا قليلا حتى عاد إلى دار الإسلام حيث وجدناه في وادي آش Guadix في شوال سنة ( 626هـ/ أغشت 1229م) . و إثر ذلك اتجه نحو صديقه القديم أبي الحسين الخزرجي ... حاكم شاطبة Jativa)من طرف ابن هود و مدحه بقصيدتين فيهما تفاصيل جديدة عن حياته و عما تعرض له من النهب و السلب و هو في طريق العودة إلى بلاده المسلمة))[2].

لقد انتفع ابن الأبار من مغامرته السياسية هذه الكثير ، و أضاف إلى رصيده الحياتي الثري تجارب جديدة ، كان لها أثرها العميق على مستقبل حياته ، فأصبح أكثر رصانة و رزانة ، و أشد حنكة و أقوى مراسا في مواجهة التحديات و تقدير عاقبة الأمور عما كان عليه من قبل.

[1] المصدر نفسه، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص10

و بعد إقامة ابن الأبار في شاطبة مدة لم تُعرف بالتحديد ، عاد من جديد إلى مسقط رأسه بلنسية التي غادرها من قبل ، نادما على ما بدر منه معتذرا للحاكم الجديد أبي جميل زيان بن مردنيش الذي أطاح بالحاكم السابق أبي زيد بن عبد الرحمان الموحدي ، و (( استقبله أبو جميل زيان بن مردنيش استقبالا حسنا إذ لم يتنكر لصداقته و عشرته القديمة في بلاط الحاكم الموحدي ، حيث كانا يعملان جنبا إلى جنب في خدمته))[1].

استقر ابن الأبار في بلنسية إلى جانب حاكمها الجديد كاتبا له ومساعدا على تصريف شؤون الحكم و الإدارة ، و كان ذلك إيذانا بنهاية تجواله و رحلاته خلال المرحلة الأندلسية في حياته .

لم يلبث ابن الأبار إلا قليلا في بلنسية ، التي سرعان ما حاصرتها القوات الصليبية الغازية و ضيقت عليها الخناق ، فقد عاد ابن الأبار إلى حياة الترحال من جديد و اختاره حاكم بلنسية ليرأس وفد البيعة إلى الإمارة الحفصية في الشمال الإفريقي ، و طلب العون و المساعدة من سلطانها أبي زكريا الحفصي .

و يذكر ابن خلدون متحدثا عن وفد بلنسية بقيادة ابن الأبار قائلا : (( و لما دلف الطاغية إلى بلنسية و نازلها بعث زيان بوفد بلنسية و بيعتهم إلى الأمير أبي زكريا ، و كان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ فحضر مجلس السلطان و أنشد قصيدته على روي السين يستصرخه ))[2]

لقد كانت هذه الرحلة الرسمية خارج حدود الأندلس ، فاتحة عهد جديد في حياة ابن الأبار ، فعرف كيف يستغلها و يستثمرها لصالحه

[1] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق ، ص 10- 11 .
[2] ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ 6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ص 653.

فقد استشرف بعلمه و بعد نظره مصير الأندلس المحتوم و ضياعها من أيدي المسلمين

((و عندما وصل لتونس ألقى ابن الأبار بين يدي أبي زكريا قصيدته السينية المشهورة التي كان لها أكبر الصدى في الأندية الأدبية بتونس ، و اعتبرت نموذجا احتداه بعض الشعراء المعاصرين هناك دون القدرة على النظم في مستواها ))[1]

و تعد هذه القصيدة من عيون شعره و غرر نظمه ، و مما جاء فيها قوله :

**أدرِك بِخَيلِك خَيلِ اللهِ أَنْدلَسا إن السبِيلَ إلى منْجاتِها درسَا**

**وهب لَها مِن عزِيزِ النَصرِ ما الْتَمستْ فَلَم يزلْ مِنْك عِزالنَصرِ مُلتَمسا**[2]

لقد كانت هذه القصيدة فاتحة مدائح ابن الأبار في البلاط الحفصي وقد ضمنها صرخة استغاثة لمدينته بلنسية ، (( فهي من أبدع قصائد النجدة و الاستغاثة في الشعر العربي... صور فيها هذا الشاعر مأساة الأندلس بوهج بكائي و إن شئت جنائزي تفوق في حدة نبرته على بكائية الرندي و غيره ، مصورا في كل ذلك ما آل إليه أمر الأندلس و موجها صرخة الاستغاثة للأمير الحفصي))[3]

لقد حققت رحلة ابن الأبار إلى تونس أهدافها المنتظرة ، فعلى المستوى السياسي و العسكري ، كان رد الأمير أبي زكريا سريعا و فوريا ، (( فاستجاب للنداء الملح و بعث بمعونة ضخمة من السلاح و المواد الغذائية ، إلا أن الحصار كان شديد الإحكام ، بحيث لم يدع فرصة للسفن التونسية للاقتراب من شاطئ بلنسية و الاتصال

[1] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 11 .
[2] المصدر نفسه، ص 395 .
[3] عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، ط 1، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، 1406هـ - 1986م، ص 82 .

بالبلنسيين المحاصرين ، مما اضطرها إلى أن تفرغ شحنتها في ميناء دانية))[1].

و من الناحية الشخصية فقد تمكن ابن الأبار من ربط علاقات وطيدة مع بعض الشخصيات الفاعلة في البلاط الحفصي ، بل مع السلطان الحفصي نفسه ، وكانت هذه العلاقة بمثابة التمهيد لإقامته بالإمارة الحفصية و استقراره بها فيما بعد.

((عاد ابن الأبار إلى بلنسية ، و لعله كان صحبة النجدة الحفصية و وجد إخوانه المحاصرين قد نفد صبرهم و عزموا على تسليم المدينة ، و اختاره الأمير زيان ليكون نائبه في مفاوضات التسليم و ليوقع وثيقة الهزيمة و تسليم البلد للأرغونيين و ذلك في (17 صفر 636هـ / 28 سبتمبر 1238م) ))[2].

استمرت رحلات ابن الأبار ذهابا و جيئة بين حاضرة الدولة الحفصية و المدن الأندلسية المتساقطة .

دانية ثم مرسية و قبلهما بلنسية - طلبا للنجدة و سفيرا لهذه المدن التي أحدق بها الأعداء و أحاطوها من كل جانب ، و بعد أن تأكد من عدم جدوى مساعيه في طلب العون و الاستغاثة للمدن الأندلسية المحاصرة، و أنها لا محالة صائرة إلى أيدي الأعداء ، قرر مغادرة الأندلس و الإقامة بصفة دائمة بالإمارة الحفصية

((و كأن ابن الأبار قد أدرك بعد سقوط بلنسية أن الغزاة سيواصلون هجماتهم على المدن الإسلامية الباقية في الأندلس واحدة إثر أخرى ، فعزم على الهجرة بأسرته إلى تونس ، لاجئا إلى حمى السلطان الحفصي الذي لقي منه خلال سفارته السابقة لديه كل

[1] ابن الأبار ،الديوان، المصدر السابق ، ص 11 .
[2] المصدر نفسه، ص 11 .



رعايـة و تكـريم ، و كـذلك غـادر ابـن الأبـار فـي أواخـر صـفر مـن عـام( 636هـ) أرض الأندلس إلى غير رجعة))[1].

لقـد كانـت هـذه الرحلـة آخـر عهـد ابـن الأبـار بالأنـدلس ، التـي بكاهـا فـي شعـره و تحصـر علـى ضـياعها ، و بقـي دائـم الحنـين إليهـا شـديد الشوق إلى مرابعها كثير الوصف لمناظرها.

((و اتجـه أولا إلـى بجايـة التـي كانـت المرسـى الرئيسـي الـذي يكـون صـلة الوصـل بـين شـرقي الأنـدلس و المغـرب الأوسـط و الأدنـى ، و هنـاك اسـتقبله أبـو يحيـى بـن أبـي زكريـاء و ولـي عهـده ، و مدحـه بقصيدة بكى فيها وطنه و وصف مأساة أمته و كارثته و ضياعه))[2].

لقـد وجـد ابـن الأبـار فـي بجايـة كـرم الضـيافة و حفـاوة الاسـتقبال مـن طـرف أهلهـا عامـة و حاكمهـا - ولـي العهـد الحفصـي - خاصـة ، الأمـر الـذي جعلـه يقـيم بهـا مـدة فقـد كانـت منـارة للعلـم و مقصـدا للعلمـاء و المثقفين.

((لـم يقـم كثيـرا فـي بجايـة التـي وجـد لـدى أميرهـا كـل إكـرام و ترحيـب إذ كانـت تـونس هدفـه ، فوصـل إليهـا و هـو لا يـزال مثخنـا بجـراح النكبـة و مـثقلا بهمـوم الغربـة وممزقـا بإحسـاس الجـلاء و النفـي و صـحبته زوجـة مكلومـة و بنـات هدهـن الحـزن والأسـى لا تنطـق إلا بالـدموع السـوافح . لكـن الأميـر خفـف مـن مأسـاته و عـالج جراحاتـه بمـا أغدق عليه من نعم و أولاه من كرم))[3].

حظـي ابـن الأبـار فـي الـبلاط الحفصـي بالتقـدير و الإجـلال ، و أحـيط بعنايـة السـلطان أبـي زكريـا الـذي كـان شـديد الحـرص علـى تقريـب العلمـاء و الشـعراء مـن بلاطـه ؛ كيـف لا و هـو نفسـه شـاعر مفلـق و عالم نحرير .

---

[1]محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص 322 .
[2]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 12 .
[3]المصدر نفسه، ص 12 .



و قد تبوأ ابن الأبار في البلاط الحفصي المكانة التي يستحق بفضل مواهبه الجمة و مهاراته الإدارية التي اكتسبها خلال عمله لدى الحكام الأندلسيين من قبل

استمر ابن الأبار في خدمة السلطان الحفصي أبي زكريا مدة غير أن ذلك لم يدم طويلا ، فسرعان ما تمكن بعض حساده و منافسيه من إيغار نفس السلطان عليه فأمر بعزله من منصبه فرحل من جديد إلى بجاية منفيا .

((و في آخر صفر سنة( 646هـ) نجده في بجاية منفيا متألما يستعطف ولي العهد أن يشفع له عند الأمير فيؤلف كتابه " إعتاب الكتاب" ليخفف من غلواء الأمير و غضبه و يستدر حلمه و عطفه ... و في رمضان أو شوال سنة 646)هـ) / دجمبر أو يناير سنة ( 1248م - 1249م) كانت بشائر العفو تملأ جوانحه و بيته فرحا و سرورا))[1].

و رجع ابن الأبار من جديد إلى تونس ليستأنف عمله في البلاط الحفصي كاتبا و بقي هناك يزاول مهنته إلى أن توفي السلطان أبو زكريا الحفصي ، و خلفه ولده و ولي عهده المستنصر الذي أبقى ابن الأبار في منصبه بالبلاط .

غير أن الرحلة كانت قدر ابن الأبار الذي لا مهرب له منه ، فلم يلبث إلا قليلا في منصبه حتى تعرض للنفي و الإبعاد من جديد بسبب نفسيته الصعبة و تآمر حساده عليه ، فقد رحل منفيا إلى بجاية مرة أخرى ، و بقي بها فترة أطول من ذي قبل ، حيث تفرغ للتأليف و التدريس ، و (( لم نستطع تحديد تاريخ النفي ولكننا على يقين أن ابن الأبار كان في بجاية للمرة الثالثة في رمضان سنة (650)هـ / نوفمبر (1252م) ، و قد أتاحت له إقامته الجديدة بهده

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 13 .

المدينة أن يقوم بنشاط علمي أخذا و عطاء و تدوينا و تأليفا ، امتدت به هذه الإقامة بالتحقيق سبع سنوات من سنة ( 650 - 657هـ) ، و إن كنا نظن أنها أكثر بقليل ))[1].

لقد تخلص ابن الأبار في مدينة بجاية ، من أرجاس السياسة و متاعب الإدارة و أجواء التنافس و الصراع داخل البلاط ، و تفرغ بهذه المدينة للنشاط العلمي الخالص ، بتردده على دور العلم و الثقافة بها للتدريس ، و التف حوله جمع غفير من طلبة العلم يأخذون عنه مختلف العلوم و الفنون ، كما أقبل على التأليف و التصنيف ، و كانت رحلته القصرية هذه إلى بجاية من أخصب فترات حياته العلمية ، و رب محنة في طياتها منحة.

و من الراجح أن يكون ابن الأبار قد حاول خلال فترة النفي هذه الاتصال من جديد بالبلاط ، في محاولة لاستعادة مكانته الضائعة و إعادة بناء الثقة بينه و بين الأمير الحفصي ، وذلك بالنظر إلى طموحه السياسي الكبير الذي ميزه منذ الفترة الأندلسية في حياته و توجت اتصالاته بالنجاح فقد استدعاه المستنصر الحفصي إلى بلاطه مرة أخرى.

((ثم رضي عنه و استقدمه و رجعه إلى مكانه من المجلس))[2]

و كان من عادة ابن الأبار الهجرة و الترحال فعاد إلى تونس غير أنه لم يجد من الحفصيين ما كان ألفه منهم في سابق عهده بهم من التكريم ، فقد سعى خصومه للإيقاع به من جديد ، لعلمه و ذكائه و مواهبه التي لا يستطيع منافسوه أن يجاروه فيها ، و لذلك لم يمهلوه هذه المرة طويلا ، و لم يروا سبيلا للتخلص منه غير القتل و التنكيل ليخلو لهم وجه الأمير.

---

[1] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 13 .

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 654 .

لقد كانت رحلة عودة ابن الأبار من بجاية ، نهاية رحلاته و خاتمة مطافه وتجواله فقد أدمن الرحلة مند سن مبكرة.

و تعد الرحلة عنصرا تكوينيا لازما و حيويا في حياة الشخصيات العلمية مند القديم ، و لم يشذ ابن الأبار القضاعي عن هذه القاعدة بل كان التنقل و الترحال قدره الذي لم يفارقه مند شبابه الباكر وكانت رحلاته إما لطلب العلم أو لدواعي السياسة التي ابتلي بها فأورثته الهم و الغم و الحسرة و قادته إلى الهلاك.

**رابعا: أخلاقه**

تميز ابن الأبار القضاعي بصفات و أخلاق ، كان لها أثرها الظاهر على مسيرة حياته بمختلف نواحيها سلبا و إيجابا ، و طبعت علاقاته بمعاصريه ، وبلورت أفكاره و قناعاته ، و شكلت جزء من شخصيته و أسلوب حياته.

فقد تميز منذ نعومة أظفاره بالذكاء الحاد و الفطنة العالية ، و لا أدل على ذلك من حصوله على بعض اجازات العلماء و هو في مرحلة الطفولة كما سبقت الإشارة.

و بالإضافة إلى الذكاء و الفطنة ، فقد اتصف بالجد و المثابرة في تحصيل الأعمال و تحقيق الأهداف ، وقد أكد محقق الديوان هذه الصفة بقوله : (( عرف ابن الأبار بالجد و المثابرة و البحث و الاستقصاء))[1].

كما تميز ابن الأبار خلال مسيرة تعلمه و دراسته بالبساطة و التواضع وتحدث بعض من ترجموا له أنه كان يستفيد من الجميع حتى ممن هم أقل منه علما و منزلة : (( و لم يكن يستنكف عن الاستفادة ممن هم أقل منه علما و مكانة))[2].

---

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 9 .

[2]المصدر نفسه، ص 10 .



و تعـد هـذه الصـفات مجتمعـة ،الـذكاء و الفطنـة ، الجـد و المثـابرة البسـاطة والتواضـع، المقومـات الأساسـية و الشـروط الضـرورية الواجب توفرها في طالب العلم الجاد في طلبه الساعي إلى تحصيله.

و لعـل المكانـة العلميـة الكبيـرة التـي بلغهـا ، و الأشـواط الدراسـية الموفقـة التـي قطعهـا ، و المؤلفـات الكثيـرة التـي تركهـا ، قـادرة علـى أن تشـكل قـرائن و أدلـة كافيـة للاسـتئناس بهـا فـي إثبـات هـذه الصـفات السابق ذكرها.

و قـد سـاهمت هـذه الصـفات التـي تمتـع بهـا ابـن الأبـار ، فـي تكوينـه العلمـي مسـاهمة كبـرى ، و كـان لهـا أثرهـا البعيـد فـي حياتـه بمختلـف جوانبهـا ، فقـد تمكـن مـن تحقيـق طموحاتـه العلميـة و السياسـية والاجتماعيـة ، فأصـبح مـن الشخصـيات البـارزة* فـي عصـره و مـن دوي الحـل و العقـد ، وتقـوم المناصـب العلميـة و السياسـية التـي شـغلها بالأنـدلس و بـلاد المغـرب ، شـاهدا علـى مقـدار النجـاح الـذي تحقـق لـه بفضل هذه الصفات.

و إلـى جانـب هـذه الخـلال الحميـدة و الأخـلاق الحسـنة التـي رفعـت ابـن الأبـار درجـات فـي سـلم المجـد و الفضـيلة ، فقـد كـان يتصـف إلـى جانـب ذلـك بصـفات و أخـلاق مسـتقبحة ، نزلـت بـه دركـات و أزرت بمكانته ، بل لقد قادته إلى الهلاك.

و تحـدث بعـض مـن تـرجم لابـن الأبـار عـن الصـفات السـلبية فـي شخصـيته ، و التـي عرضـته للمؤاخـذة و التـوبيخ و العـزل مـن المناصـب التـي شـغلها فـي الكثيـر مـن المناسـبات ، ومـن هـذه الصـفات : الكِبـار،و الافتقـار لـروح التواضـع ،عكـس مـا عـارِفَ عنـه خـلال مرحلـة تعليمـه، و الأنفـة و الغلـو فـي العـزة بـالنفس التـي ينفـر منهـا الحكـام ، و (( كانـت تعتريـه حـدة ، يسـميها بعضـهم بـأوا ، يبعثهـا

شـــعور بالعــــزة و التفــوق ، أفســدت مـــا بينـــه و بـــين أبـــي زكريـــا فعزلـــه من منصبه))[1].

لقــد جلــب ابــن الأبــار علـــى نفســـه غضـــب الســـلطان الحفصـــي ، أبـــي زكريـــا الـــذي كـــان لـــه الفضـــل فـــي تقريبـــه منـــه و تعيينـــه كاتبـــا فـــي بلاطـــه فقابـــل ذلـــك الإحســـان بالإســـاءة ، و مـــا كـــان ذلـــك ليحـــدث لـــولا نفســـيته المتقلبة و مزاجه الحاد الذي أفسد عليه حياته و علاقاته.

و لــم يــتعظ ابــن الأبــار مــن العقــاب الــذي لحقــه ، و لــم يحفــظ الــدرس الــذي تلقــاه فقــد تكــررت هفواتـــه بســبب هــذه الصــفات الســلبية التـــي لـــم يســتطع أن يــتخلص منهــا الأمــر الــذي يــدفع بقــوة إلـــى القــول ، إن هـــذه الصـــفات مســـتحكمة فـــي طبعـــه و ليســـت مكتســـبة أو عارضــــة فـــي حياتـــه فقــد أعـــاد الموقـــف نفســـه مـــع الأميـــر الحفصـــي الجديـــد ((فكـــان يـــزري علــــى المستنصــــر فــــي مباحثـــه و يستقصــــره فـــي مداركـــه ، فخشـــن لـــه صـــدره مـــع مـــا كـــان يســـخط بـــه الســـلطان مـــن تفضـــيل الأنـــدلس و ولاتهـــا عليه))[2].

و كانــت العقوبـــة هـــذه المـــرة شـــديدة ، فقــد عـــزل مـــن منصـــبه بـــالبلاط ونفـــي إلـــى بجايـــة التـــي قضـــى بهـــا ســـنوات عديـــدة ، و بقـــي أثـــر جريرتـــه يلاحقه حتى بعد أن عاد إلى تونس بدعوة من السلطان.

إن الاسترســـال فـــي الحـــديث عـــن أخـــلاق ابـــن الأبـــار الســـلبية منهـــا و الايجابيـــة ، لـــيس القصـــد منهـــا الإحصـــاء و التتبـــع ، بـــل يكفـــي إثبـــات بعضـــا منهـــا بالقـــدر الـــذي يجعلهـــا قـــادرة علـــى النهـــوض لتشـــكل دلـــيلا كافيا على شخصيته و مدى تأثيرها في مسار حياته إيجابا و سلبا.

* هم أصحاب الرأي و المشورة و الفضل ، خاصة في جلائل الأمور وعظائم الشؤون ، و يتشكلون من العلماء و القادة و ذوي الجاه و السلطان ... أو هم (النخبة) بالمفهوم السياسي الحديث و المعاصر

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 12- 13 .

[2]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 653 .

**خامسا: مكانته بين أهل عصره**

حظي ابن الأبار القضاعي بمكانة مرموقة و منزلة عالية طيلة حياته بمحطتيها الأندلسية و المغربية ، كيف لا و هو الشاعر المفلق و العالم النحرير ؟

و رغم جو التنافس الحاد الذي كان سائدا بين العلماء و الأدباء حيث وصل في مناسبات كثيرة إلى درجة الخصومة و الصراع إلا أن ذلك لم يحط من مكانة ابن الأبار و لم يزحزحه عنها ، فقد ظل معاصروه يجلونه و يعرفون له قدره .

و يذكر المقري قائلا: (( و قال في حقه ابن سعيد في المغرب ما ملخصه: حامل راية الإحسان، المشار إليه في هذا الأوان))[1].

فهذا اعتراف ضمني من ابن سعيد - أحد معاصري ابن الأبار الأبار - فيه إقرار بالمكانة التي وصلها ، و أسبقيته في العلم و الأدب ذلك أن حامل الراية يكون عادة أمام القافلة يقودها نحو غايتها النبيلة و هدفها المنشود .

و ينقل المقري عن ابن سعيد شهادة أخرى تؤكد ما ذكره من قبل حيث يقول: (( قال ابن سعيد في القدح المعلى في حقه : كاتب مشهور و شاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية ، و ورد رسولا حين أخذ النصارى بمخنق تلك الجهات و أنشد قصيدته السينية:

**أَدرِك بِخَيلِك خَيلِ اللهِ أَنْدلُسا إن السبِيلَ إلى منْجاتِها درسَا**

و عارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ و محروم ، و أغري الناس بحفظهاإغراء بني تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم))[2].

---

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، جـ 2 ، ص 591 .
[2] المصدر نفسه، جـ 4، ص 432 .

و علــى غــرار مــا قالــه ابــن ســعيد المغربــي فــي حــق ابــن الأبــار ، فقــد إعتــرف لــه بالفضــل جمــع غفيــر مــن أعــلام عصــره و أنزلــوه المكانــة اللائقة به.

كمــا اعتــرف لــه ابــن عبــد الملــك المراكشــي بالفضــل و ســعة العلــم و حصــافة العقــل فقــال : (( و كــان آخــر رجــال الأنــدلس براعــة و إتقانــا و توســعا فــي المــعارف وافتنانــا محــدثا مكثــرا ، و ضــابطا ، عــدلا ثقــة ، ناقــدا ، يقظــا ، ذاكــرا للتــواريخ علــى تبــاين أغراضــها ، مســتبحرا فــي علــوم اللســان نحــوا و لغــة و أدبــا ، كاتبــا بليغــا ، شــاعرا مفلقــا مجيــدا . عنــي بالتــأليف و بحــث فيــه و أعــين عليــه بوفــور مادتــه و حســن التهــدي إلــى ســلوك جادتــه و صــنف فيمــا كــان ينتحلــه مصــنفات بــرز فــي إجــادتها ، و أعجز عن الوفاء بشكر إفادتها))[1].

و علــى النقــيض مــن ذلــك ، فقــد وجِــد مــن الأعــلام و الشخصــيات مــن ذهــب إلــى الناحيــة الســلبية مــن مكانــة ابــن الأبــار ، و وجــه نقــدا لاذعــا لــه و أحصى نقائصــه وعدد مثالبه .

فقــد ذكــر المقــري قــائلا : (( و كــان أعــداؤه يلقبونــه بالفــار ، و حصــلت بينــه و بــين أبــي الحســن علــي بــن شــلبون المعــافري مهاجــاة فقال فيه:

**لا تعجبوا لمضرة نالت جميـ　ع الناس صادرة عن الأبـار**

**أو ليس فارا خلقة و خليقـة　و الفار مجبول على الإضرار**

فأجابه ابن الأبار :

**قل لابن شلبون مقال تنزه　غيري يجاريك الهجاء فجار**

**إنا اقتسمنا خطتينا بيننـا　فحملتُ برة و احتملتَ فجار**[2]

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 17 .

[2]المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، جـ 2، ص 593 .

لقد كان ابن شلبون شديد التحامل على ابن الأبار ، إذ وجه له هجاء مقذعا تأباه الأخلاق الفاضلة و تنفر منه الفطرة السليمة حيث تجاوز فيه الهجاء بالصفات النفسية - على عادة العرب في الهجاء - إلى التعيير بالصفات الحسية ، مما يكشف مقدار الحسد و الحقد الذي يكنه له ، و مبلغ المنزلة العلمية العالية التي حققها ابن الأبار فكل ذي نعمة محسود .

غير أن ابن الأبار كان رصينا في رده على ابن شلبون ، مترفعا عن مجاراته في هجائه ، فهو يعرف قدر نفسه و مكانته حق المعرفة ، و يدرك أن التعاليم الإسلامية قد نهت عن هذا المسلك من القول ، و قبحت الاتجاه إليه.

وقد قيل : ما إن تتكاثر مواهب الله على شخص ، حتى ترى كل منقوص يطوي جوانحه عن غضب مكتوم و يود زوال النعمة و انطفاء العظمة.

وتقوم الوظائف السامية التي تبوأها ابن الأبار في الأندلس و في الإمارة الحفصية دليلا آخر على مقدار المكانة التي حظي بها في حياته ، و من تلك الوظائف : (( كتب عن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ابن عبد المؤمن ببلنسية ، ثم عن ابنه السيد أبي زيد))[1]

وبعد عودة ابن الأبار من مغامرته السياسية التي قادته إلى بلاد النصارى ، فقد التحق كاتبا في بلاط الأمير أبي جميل زيان بن مردنيش ، فقد ذكر محقق الديوان : (( فألحقه زيان بحكومته و عينه وزيره في تلك الظروف الحرجة الخطيرة و اختاره ليرأس وفد البيعة و طلب الغوث و النجدة من تونس الحفصية))[2].

[1]ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 653 .
[2]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 11.



كما عمل ابن الأبار بالقضاء خلال فترة حياته الأندلسية ، حيث عين قاضيا في بعض المدن : (( و تولى قضاء دانية (632هـ / 1235م) لفترة قصيرة.))[1].

كما كان سفيرا عن بعض المدن الأندلسية إلى الإمارة الحفصية للبيعة و طلب الغوث و النجدة....

فكل هذه الوظائف التي شغلها في الأندلس ، و المهام التي كُلفَ بأدائها ، تعد تعبيرا صادقا على المكانة العالية التي احتلها عن جدارة و استحقاق بالأندلس.

و بعد سقوط بلنسية و بعض المدن القريبة منها ، خرج ابن الأبار قاصدا الإمارة الحفصية ، و قد وجد بها كل الرعاية و الترحيب فقد أنزله حاكمها أبو زكريا الحفصي المكانة اللائقة به ، و أفسح له أبواب بلاطه ثم عينه، لاحقا كاتبا لديه (( و عندما توفي أبو عبد الله البجائي المعروف بابن الجلاء سنة (638هـ/ 1241م ) صاحب العلامة في بلاط أبي زكرياء ، أسندت هذه المهمة إلى ابن الأبار الكاتب المنشئ البارع ، و استطاع أن يصل إلى مكانة مرموقة لدى الأمير الذي أصبح ابن الأبار ركنا من أركان دولة الشعر في حكمه ، و حلاه بفخر قضاعة في بعض الأبيات من نظمه))[2].

و وجد ابن الأبار من الأمير المستنصر العناية نفسها التي و جدها من سلفه فقد ألحقه ببلاطه و رفع مكانته ، و يشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله: (( و لما هلك الأمير أبو زكريا رفعه المستنصر إلى حضور مجلسه مع الطبقة الذين كانوا يحضرونه من أهل الأندلس و أهل تونس))[3].

---

[1] داود عمر سلامة عبيدات، الموحدون في الأندلس، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2005م، ص249
[2] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 12 .
[3] ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 654 .

لقد تسلق ابن الأبار سلم المجد و السؤدد بالإمارة الحفصية في وقت قصير و أصبح من جلساء الأمير و بطانته و مستشاريه وذلك بفضل مواهبه الجمة و علمه الغزير.

غير أن هذه المكانة التي بلغها لم تستمر طويلا ، و ذلك لنفسيته المتقلبة و أخلاقه الصعبة ، فقد جلب على نفسه العقاب فبالرغم الحفاوة التي تلقاها و التقدير ناله في البلاط الحفصي (( إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة ، فقلصت عنه تلك النعمة ، و أخر عن تلك العناية ، و ارتحل إلى بجاية و هو الآن بها عاطل عن الرتب خال من حلى الأدب))[1].

لقد عرفت مكانة ابن الأبار تراجعا واضحا عما كانت عليه من قبل ، بعد عودته الأخيرة من بجاية إلى بلاط المستنصر الحفصي و أضحى الأمير لا يكلمه ولا ينظر إليه إذا حضر مجلسه ، و قد عبر ابن الأبار عن اهتزاز مكانته في البلاط و اشتكى من التجاهل الذي يتلقاه من الخليفة نفسه ، و من ذلك قوله:

**أمري عجيب في الأمور بين التواري و الظهور**

**مستعمل عند المغيب و مهمل عند الحضور[2]**

((و سبب هذا أن ملك تونس كان إذا أشكل عليه شيء أو ورد عليه لغز أو معمى أم مترجم بعث به إليه فيحله، و إذا حضر عنده لا يكلمه و لا يلتفت إليه))[3].

و مهما يكن من أمر ، فإن الشيء الثابت أن ابن الأبار قد تمتع بمكانة عالية و احترام كبير بين معاصريه سواء كان ذلك بالأندلس أو بلاد المغرب ، نتيجة مواهبه الكثيرة و علمه الغزير و كفاءته و

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، جـ 4، ص 433 .
[2] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 445 .
[3] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، جـ 2، ص 592 – 593 .

خبرتـــه فـــي تصـــريف الأعمـــال الإداريـــة و السياســـية التـــي كلـــف بهـــا رغم الهفوات التي وقع فيها و سببت له بعض المتاعب خلال حياته

**سادسا: وفاتــه**

لــم تختلــف المصــادر التــي ترجمــت لابــن الأبــار القضــاعي حــول تــاريخ وفاتــه ، إذ اتفقــت جلهــا أن وفاتــه كانــت بتــونس فــي يــوم الثلاثــاء 21 محــرم ســنة( 658هــ/6 جــانفي(1260م) ، فقــد ذكــر الغبرينــي عــن ذلــك : (( تــوفي رحمــه الله بتــونس ضــحوة يــوم الثلاثــاء المــوفي عشــرين لمحرم عام ثمانية و خمسين و ستمائة))[1].

و ســار فــي الإتجــاه ذاتــه ابــن قنفــذ مــع ذكــر التــاريخ نفســه بقولــه : (( و فــي ســنة ثمــان و خمســين و ســتمائة تــوفي شــهيدا بتــونس الفقيــه المحصــل الكاتــب المحــدث الكامــل أبــو عبــد الله محمــد بــن الأبــار البلنســي ))[2].

و علــى غــرار مــا جــاء فــي هــذين المصــدرين حــول تــاريخ وفــاة ابــن الأبــار ، ســارت بقيــة المصــادر الأخــرى ، غيــر أن الملفــت للانتبــاه هــو أن الغبرينــي يكتفــي بــذكر تــاريخ الوفــاة فقــط دون الإشــارة إلــى حادثــة مقتــل ابــن الأبــار و لا إلــى المــلابسات و الأســباب التــي دفعــت إليهــا علــى خــلاف بقيــة المصــادر التــي ذكــرت أن ابــن الأبــار قــد قتــل مــن طــرف المستنصــر الحفصــي و وصــفته بالشــهيد ، و ذكــرت جملــة مــن الأسباب و الدوافع التي أدت إلى مقتله.

و تحــدث ابــن خلــدون عــن وفاتــه ، و ســاق العديــد مــن الأســباب التــي أدت إلــى مقتلــه إذ قــال: (( و عــاد هــو إلــى مســاءة الســلطان بنزعاتــه إلــى أن جــرى فــي بعــض الأيــام ذكــر مولــد الواثــق ، و ســاءل عنــه الســلطان فاســتبهم فعــدا عليــه ابــن الأبــار بتــاريخ الــولادة و طالعهــا ، فــاتهم بتوقــع

[1]الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 313 .
[2]ابن قنفذ، الوفيات، ط1، تحقيق/ عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م، ص 324 .

المكروه للدولة و التربص بها كما كان أعداؤه يشنعون عليه ، لما كان ينظر في النجوم فتقبض عليه ، و بعث السلطان إلى داره فرفعت إليه كتبه أجمع ، و ألقى أثناءها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها :

**طَغَى بِتُونس خِلْفٌ سموه ظُلْما خَلِيفَة**

فاستشاط لها السلطان و أمر بامتحانه ثم بقتله قعصا بالرماح وسط محرم من سنة ثمان و خمسين ، ثم أحرق شلوه و سيقت مجلدات كتبه و أوراق سماعه و دواوينه فأحرقت معه))[1].

كما أحصى بعض من ترجموا له جملة من الأسباب أدت إلى مقتله منها :

1) أنه ألف كتابا في التاريخ خاض فيه بما لا يرضي الأمير.

2) اتهامه بتوقع المكروه للدولة ، بسبب اطلاع الأمير على بطاقة تبين ساعة المولد و الطالع لولده ، و كان هذا الطالع شؤما كما يبدو .

3) توقع شق العصا و الخروج على الأمير.

4) ما نمي للأمير من أنه ينتقصه ، و قد تكون هذه التهمة معقولة ، و لكن المحقق أنه كان محسودا لأدبه و وفرة علمه و توقد ذكائه و شدة طموحه ، و قد ساعد أعداؤه و حساده على نجاح المؤامرة و الدس ؛ اعتزازه بنفسه و اعتداده بعلمه و حدة ما كانت تفارقه))[2] .

و يمكن التماس أسبابا أخرى تقف وراء مقتل الشاعر و التنكيل بجثته و إتلاف مجموع مؤلفاته من طرف البلاط الحفصي منها : السبب العرقي ، فالعناصر العربية النازحة من الأندلس قد استقرت

---

[1]ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 654- 655 .
[2]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 14- 15 .



بـبلاد المغرب التي كانت تحكمها أسر بربرية - الحفصيون الزيانيون ، المرينيون ،وكانت كل هذه الإمارات البربرية في مرحلة التأسيس ، الأمر الذي جعل حكامها الأوائل على درجة عالية من الحساسية السياسية تجاه العناصر النازحة ، و التي قد تمتد أطماعهم إلى مزاحمة هذه الدول على الحكم ، فقد تميزت مرحلة التأسيس بالصرامة و عدم التسامح و الضرب بيد من حديد لكل من يتوقع منه الخروج و شق عصا الطاعة.

و كان شعور الأندلسيين النازحين بالتفوق العرقي و العلمي و أنهم أولى بالحكم من بقية العناصر التي لا ترتقي ،حسبهم ،لنيل شرف السيادة و القيادة فهم مجرد موالي ، فقد دفع هذا الإحساس الحكام الحفصيين إلى الشك في ولاء الأندلسيين ، و رأوا فيهم خطرا يتهدد إمارتهم.

كما لا يمكن إغفال السبب المذهبي ، فقد تكون تهمة التشيع التي حاول البعض إلصاقها به ، وكانت حجتهم إليها كتابه الذي ألفه بالأندلس في رثاء و تمجيد آل البيت ممثلين في شخص الحسين بن علي ( رضي الله عنهما ) و المعنون بمعدن اللجين في مراثي الحسين ، سببا آخر أدى مع بقية الأسباب إلى مقتله ، إذ كانت بلاد المغرب سنية على مذهب مالك ، و غني عن البيان الصراع الحاد الذي كان سائدا بين السنة و الشيعة منذ القديم في كامل البلاد الإسلامية.

و مهما يكن من شأن هذه التهم - صحيحة هي أم باطلة - فإن ذلك لا يبرر إقدام البلاط الحفصي على قتل العلماء و التنكيل بهم ، و يزداد الأمر غرابة إذا علمنا أن الحكام الحفصيين قد عارفوا برعايتهم للعلم و إكرامهم للعلماء و العمل على تقريبهم من بلاطهم طيلة فترة حكمهم .

كل هذه المعطيات تدفع بقوة إلى الإقرار في أن ابن الأبار قد وقع ضحية مؤامرة حيكت حوله بإحكام ، و تحالفت ضده أطراف عملت في السر و العلانية على التخلص منه ؛ لأنه يشكل تهديدا لمصالحها بالبلاط الحفصي لما يتوفر عليه من علم و حصافة و ثقة ، و لم تدخر هذه الأطراف جهدا في سبيل تحقيق غايتها المنشودة ، فراحت تجمع ضده التهم و تستثمر الفرص و المناسبات للإيقاع به ، و قد تحقق لها ما أرادت ، فكانت نهايته نهاية مأساوية.

و مهما يكن من أمر ، فقد نقل التاريخ : أن حاكما مستبدا قد قتل عالما نحريرا و نكّل بجثته تنكيلا شنيعا ، و أحرق كل مؤلفاته محاولا طمس كل أثر لهذا العالم و حرمان الأجيال اللاحقة من الاستفادة من علمه و الاستزادة من أدبه ، ولكن هيهات أن يحقق الاستبداد السياسي أهدافه و مراميه ، فقد تناقل تلامذة ابن الأبار كتبه و نسخوها قبل أن تطالها يد الطمس و الإتلاف ، و حفظوا بذلك للأجيال حقهم في الاستفادة من خلاصة تجارب هذا العالم الأديب و عصارة فكره و سحر بيانه.

## المبحث الثاني: آثاره الأدبية والعلمية

### أولا: مؤلفاته

اشتهر ابن الأبار القضاعي بغزارة التأليف و جودة التصنيف فقد ألف ما يزيد عن الخمسين كتابا في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية : التاريخ ، الفقه الحديث ، سير و تراجم الأعلام ، الأدب نثرا و نظما ، اللغة ...

وتميزت حياته العلمية بالتنوع و الثراء و الموسوعية، فقد ترك تراثا علميا و أدبيا زاخرا لا تزال الأجيال تنهل منه و تغترف من معينه الذي لا ينضب.

(( فابن الأبار كان شيخ القرن السابع بعد أستاذه الكلاعي، وقد أتاحت له ثقافته الواسعة واطلاعه الشامل وطلبه الحثيث أن يخلف لنا إنتاجا ضخما رغم أعباء الإدارة و مشاكل السياسة و مآسي الاضطرابات و الهجرة و الجلاء ، و تربو مؤلفاته على الخمسين كتابا))[1].

وأشار الغبريني إلى غزارة علم ابن الأبار و كثرة مؤلفاته و كتبه فقال :((و لا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا و له فيه رواية ، إما بعموم أو بخصوص))[2].

و قد تحدث بعض الدارسين طويلا عن الرصيد العلمي و الأدبي الكبير الذي أنتجته قريحة ابن الأبار الفذة و أبدعه خياله الخصب و عكس من خلاله بجلاء روح عصره و الأحداث التي عاشها ، فقد كان شاهدا على القرن بالأندلس و بلاد المغرب معايشا لأهم أحداثها و حوادثها بمختلف أدوارها و أطواره..

---

[1] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 17 .

[2] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 311.

و من هؤلاء الدارسين الذين ذكروا عناوين كتب ابن الأبار: عبد العزيز عبد المجيد من خلال كتابه ( ابن الأبار حياته و كتبه الذي طبعته المطبعة الحسنية بالمغرب سنة(1954م) ، و عبد السلام الهراس عند تحقيقه لديوان شعره سنة (1969م) ، فقد أشار إلى جل كتبه المعروفة و التي تم تحقيقها أو التي أشارت إليها بعض المصادر و المراجع ، و لم يتسن العثور عليها إلى تاريخ تحقيق ديوان شعره ، و قد أوردها كما يأتي:

1) المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل .
2) المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح .
3) الأربعون حديثا عن الأربعين شيخا من أربعين مصنفا لأربعين عالما من أربعين طريقا إلى أربعين تابعا عن أربعين صاحبا بأربعين اسما من أربعين قبيلا في أربعين بابا.
4) الاستدراك على أبي محمد القرطبي بما أغفله من طرق روايات الموطأ .
5) الشفا في تمييز الثقات من الضعفا .
6) هداية المعتسف في المؤتلف و المختلف .
7) شرح البخاري ( غير تام إذ قتل دون إنجازه).
8) مختصر ابن أبي زمنين في الفقه
9) قصد السبيل و ورد السلسبيل في المواعظ و الزهد.
10) مظاهرة المسعى الجميل و محاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل.
11) درر السمط في أخبار السبط.
12) معدن اللجين في مراثي الحسينذ.
13) إحضار المرهج في مضمار المبهج.

14) فضالة العباب و نفاضة العياب ( أرجوزة ).
15) إعانة الحقير في شرح زاد الفقير.
16) الإيماء إلى المنجبين من العلماء.
17) لتكملة لكتاب الصلة.
18) الحلة السيراء في أشعار الأمراء.
19) كتاب التاريخ.
20) إعتاب الكتاب.
21) برنامج رواياته.
22) معجم شيوخه.
23) معجم أصحاب أبي عمر بن عبد البر.
24) معجم أصحاب أبي عمرو الداني المقرئ.
25) معجم أصحاب أبي علي الغساني .
26) معجم أصحاب أبي داود الهشامي.
27) معجم أصحاب أبي علي الصدفي .
28) معجم أصحاب أبي بكر بن العربي المعافري
29) معجم شيوخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن السراج
30) الوشي القسي في اختصار الفتح القسي .
31) إفادة الوفادة .
32) أنيس الجليس و نديم الرئيس.
33) إعصار الهبوب في ذكر الوطن المحبوب .
34) قطع الرياض في بدع الأغراض( مختارات شعرية في مجلدين ضخمين ).
35) الانتداب للتنبيه على زهر الآداب.
36) خضراء السندس في شعراء الأندلس ( من أول فتحها إلى آخر عمره).

37) تحفة القادم.

38) الكتـاب المحمـدي ( جمـع فيـه شـعراء الأنـدلس المسـمين باسـم محمد) .

39) إيماض البرق في شعراء الشرق ( أي شرق الأندلس).

40) مجموع رسائله.

41) ديوان شعره.[1]

لقـد عرفـت بعـض هـذه المؤلفـات طريقهـا إلـى الطبـع بعـد العثـور علـى نسـخها المخطوطـة المنتشـرة عبـر مكتبـات العـالم ، وتـم تحقيقهـا تحقيقـا علميـا مـن طـرف ثلـة مـن البـاحثين و الأسـاتذة المحققـين ، الأمـر الـذي مكـن القـراء الإطـلاع عليـها والاسـتفادة مـن أهـم كنـوز و دخـائر الفكـر الاسـلامي و العربـي العلمـي و الأدبـي وإخراجهـا مـن ذاكرة النسيان التي اكتنفتها لقرون عديدة .

و مؤلفـات ابـن الأبـار التـي تـم تحقيقهـا و نشـرها حتـى تـاريخ تحقيـق و نشـر ديـوان شـعره مـن طـرف عبـد السـلام الهـراس ، ذكـرت كمـا يأتي:

**التكملـة لكتـاب الصـلة** : يعـد كتـاب تكملـة الصـلة مـن أجـود و أهـم مـا ألـف ابـن الأبـار القضـاعي خـلال حياتـه العلميـة ، و هـو كتـاب فـي التـراجم و السـير و التاريـخ ، و اسـتغرق فـي تأليفـه وقتـا طـويلا فقـد ذكـر ابـن الأبـار نفسـه تـاريخ بدايـة تأليفـه لـه قـائلا: (( و كـان انبعـاثي لهـذا التقييـد ؛ الملـتمس فيـه مـن الله حسـن العـون و التأييـد أول شـهر المحرم مفتتح سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة))[2].

[1] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 17- 19 .
[2] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، جـ 1، ص 2 - 3 .

و يظهر من هذا التاريخ أن ابن الأبار قد بدأ تأليف كتاب التكملة لكتاب الصلة خلال المرحلة الأندلسية من حياته ، و استمر في تنقيحه و الإضافة إليه أثناء إقامته بالإمارة الحفصية.

كما يعد كتابه هذا ، حلقة هامة ضمن سلسلة من الكتب التي سبقته حول تاريخ الأندلس السياسي و الثقافي و العلمي ، و تحدث عبد الله علي علام عن هذا الكتاب فقال : (( و هذا الكتاب الجليل هو تكملة لكتاب الصلة الذي وضعه ابن بشكوال(ت587هـ) ليكمل به كتاب تاريخ العلماء و الرواة بالأندلس لابن الفرضي، و قد انتهى ابن بشكوال في كتابه (( الصلة )) عند سنة(534هـ) فابتدأ ابن الأبار في كتاب(( التكملة )) من سنة(535هـ) ، و انتهى به عند سنة (636هـ) ))[1] .

عرف كتاب التكملة لكتاب الصلة طريقه إلى التحقيق و النشر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، و تداول على تحقيقه و نشره عدد من الباحثين العرب والأجانب اعتمادا على بعض النسخ المخطوطة لهذا الكتاب، و المنتشرة عبر مكتبات إقليمية و عالمية.

((نشر القسم الكبير منه كوديرا ، من حرف (ج) إلى نهاية الكتاب في مجلدين في مدريد خلال عامي ( 1888م - 1889م ) ، و نشر القسم الأول الباقي منه ابن شنب و بل في الجزائر عام (1920)[2] .

و بقي كتاب تكملة الصلة ينتظر من يجمعه بكامل أجزائه و يحققه تحقيقا علميا مرضيا حتي تتم الاستفادة منه ، فقام الأستاذ عزت العطار الحسيني بهذه المهمة وأخرج الكتاب في حلة جيدة و جديدة و نشره سنة (1956م).

[1] عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب ( في عهد عبد المؤمن بن علي)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 27- 28 .

[2] محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص 324 .

**إعتـــاب الكتـــاب :** أشـــارت جـــل المصـــادر التـــي ترجمـــت لابـــن الأبـــار القضـــاعي إلـــى كتابـــه ( إعتـــاب الكتـــاب ) و إلـــى السـبب الـذي دعـاه إلـى تأليفـه ، فقـد تعـرض لغضـب السـلطان أبـي زكريـا الحفصـي ، فأبعـده إلـى بجايـة التـي أقـام بهـا فتـرة حـاول خلالهـا طلـب الصـفح و اسـتعادة مكانتـه بـالبلاط فـألف هـذا الكتـاب ، و ذكـر ابـن خلـدون ذلـك(( : ثـم إسـتعتب السـلطان بتـأليف رفعـه إليـه عـد فيـه مـن عوتـب مـن الكتـاب ، و أعتـب و سـماه إعتـاب الكتـاب ، و استشـفع فيـه بابنـه المستنصـر فغفـر السلطان له و أقال عثرته و أعاده إلى للكتابة))[1].

فكتـاب إعتـاب الكتـاب ، رسـالة اسـتعطاف و اعتـذار طويلـة بعثهـا ابـن الأبـار إلـى أبـي زكريـا الحفصـي ، و ألفـه بعـد إبعـاده عـن الـبلاط و فيـه سـرد لقصـص و تراجمـو نـوادر الكتـاب الـذين سـبق إلـيهم غضـب السـلاطين و الخلفـاء ، ثـم حلـت بهـم نعمـة العفـو و الرضـا ، فـأعتبوهم و غفروا لهم .

يضـم هـذا الكتـاب خمسـا و سـبعين ترجمـة لمشـاهير الكتـاب و المنشـئين مشـارقة ومغاربـة وأندلسـيين ، مرتبـة ترتيبـا زمنيـا ، ابتـداء مـن القـرن الأول الهجـري ،عهـد الخليفـة الراشـد عثمـان بـن عفـان ( رضي الله عنه ) ـ و انتهاء بالقرن السابع الهجري[2].

و النسـخ الخطيـة لهـذا الكتـاب منتشـرة عبـر العديـد مـن مكتبـات العـالم مثلها في ذلك مثل مخطوطات كتاب تكملة الصلة للكاتب نفسه.

كمـا أشـار جرجـي زيـدان إلـى وجـود نسـخة خطيـة مـن كتـاب إعتـاب الكتاب بالخزانة التيمورية بمصر[3].

ـ **درر السـمط فـي أخبـار السـبط :** هـو كتـاب تعـرض فيـه ابـن الأبـار إلـى سيـرة و أخبـار الحسـين بـن علـي ( رضـي الله عنهمـا ) ، كمـا

[1]ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 654 .
[2]بتصرف / محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص 325- 326 .
[3]بتصرف / جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، مصر، 1913م، جـ 3 ، ص 78.

بكـى فيـه آل البيـت و وصـف مـا حـل بهـم مـن أهـوال و مآسـي علـى يـدي بني أمية في كربلاء .

و أشـار بعـض مـن تـرجم لـه إلـى هـذا الكتـاب فقـال : (( و لـه جـزء سـماه درر السـمط فـي خبـر السـبط )) ينـال فيـه مـن بنـي أميـة و يصـف عليا عليه السلام بالوصـي و هذا تشيع ظاهر و لكنه إنشاء بديع))[1].

كمـا تحـدث المقـري عـن هـذا الكتـاب و نقـل منـه فصـولا طويلـة فـي كتابـه نفـح الطيـب ، غيـر أنـه اتهـم ابـن الأبـار بالتشـيع بـالنظر إلـى محتـوى كتـاب درر السـمط الـذي فـي تعاطفـا صـريحا مـع آل بيـت الرسـول ( صـلى الله عليـه و سـلم ) و مـا حـل بهـم مـن أهـوال علـى أيـد بنـي أميـة ، فقـال : (( و هـو كتـاب غايـة فـي بابـه ، و لـم أورد منـه غيـر مـا ذكرتـه ، لأن فـي البـاقي مـا تشـم منـه رائحـة التشـيع ، و الله سـبحانه يسامحه بمنـه و كرمه))[2].

لقـد تعـرض ابـن الأبـار بسـبب هـذا الكتـاب إلـى النقـد و المؤاخـذة لموقفـه مـن آل البيـت و عواطفـه نحـوهم ، بـل لقـد وصـل الأمـر إلـى حـد اتهامـه بالتشـيع ، غيـر أن مـا ذكـره الصـفدي و تابعـه فيـه المقـري لا يمكنـه بـأي حـال مـن الأحـوال أن يـنهض ليشـكل موقفـا كافيـا يمكـن الاسـتئناس بـه لاتهـام ابـن الأبـار بالتشـيع ، فلـم يوجـد فـي بقيـة كتبـه الكثيـرة مـا يعـزز و يؤكـد هـذه التهمـة ،إن جـاز لنـا أن نعتبـر التشـيع تهمـة - فـالأقرب للعـدل أن نعـد عواطـف ابـن الأبـار عواطـف كـل مسـلم اتجـاه إخوانـه المسـلمين الـذين يتعرضـون للظلـم و التنكيـل و التشـريد مـن طـرف بعـض الأسـر الحاكمـة بصـرف النظـر عـن كـون هـؤلاء مـن آل البيـت أو مـن عامـة المسـلمين ، بـل إن المسـلمين علـى مختلـف

[1]الصفدي، الوافي بالوفيات، المصدر السابق، جـ 3، ص356

[2]المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، جـ 4، ص 506 .

* لقوله تعالى : ( .. **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** .. ) ينظر/ القرآن الكريم : سورة الشورى ، الآية : 23 ، برواية حفص عن عاصم.

مــذاهبهم مطــالبون شــرعا بحــب آل بيــت الرســول صــلى الله عليــه و ســلم و إجلالهم و توقيرهم.

و يظهــر مــن عنــوان هــذا الكتــاب و مضــمونه أن ابــن الأبــار قــد ألــف كتابــه هــذا فــي أواخــر حياتــه خــلال إقامتــه فــي بجايــة ، فقــد تكــاثرت عليــه الأحــزان و مزقــت نفســه المتألمــة النوائــب و تعــرض للعقــاب و الإبعــاد مــن طــرف المستنصــر الحفصــي ، بإيعــاز مــن حســاده و منافســيه بــالبلاط ، فكــان الــدافع لتــأليف هــذا الكتــاب الــذي بكــى فيــه آل البيــت ، و تحســر لمــا نــالهم مــن ظلــم و حيــف و قتــل ، البحــث عــن العــزاء لمــا أصابــه و التخفيــف مــن حــدة الأهــوال التــي نالتــه ، عــن طريــق اســترجاع مآسي آل بيت الرسول (صلى الله عليه و سلم ).

أمــا عــن نســخ كتــاب درر الســمط فــي خبــر الســبط ، فقــد نقــل محمــد يوســف مقلــد كــلام صــالح الأشــتر: (( أن نســخة خطيــة وحيــدة وصــلت إليــه مــن هــذا الكتــاب تعــود لــى القــرن الثــاني عشــر الهجــري ، و كــان الســيد عــامر غــديرة قــد حققهــا و ترجمهــا للفرنســية و أعــدها للطبــع ، و قدمها لنيل دبلوم الدراسات العلـيا في باريس))[1].

و يــذكر محقــق ديــوان ابــن الأبــار، أنــه قــام بتحقيــق كتــاب درر الســمط بالاشــتراك مــع الأســتاذ ســعيد أعــراب ، و سينشــره بالــدار التونســية للنشر[2].

- **الحلــة الســيراء فــي شــعر الأمــراء :** هــو كتــاب فــي الأدب و التــاريخ و تــراجم الأعــلام و المشــاهير مــن رجــال السياســة الــذين عرفــوا بقــرض الشــعر ، و قــد وضــعه ابــن الأبــار أثنــاء عملــه فــي الــبلاط الحفصــي تمجيــدا لشــاعرية الســلطان أبــي زكريــا و ولــي عهــده وتــدليلا

---

[1]محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص 325 .
[2]بتصرف / ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 20 .



علـــى أن قـــول الشـــعر مـــن خصـــال كبـــار الخلفـــاء و السلاطيـــن و الأمـــراء ترجم فيه لمن عرف بقرض الشعر من رجالات المغرب و الأندلس.

و يعتنـــي كتـــاب الحلـــة الســـيراء بأخبـــار المغـــرب مـــن المائـــة الأولـــى للهجـــرة إلـــى المائـــة الســـابعة للهجـــرة ، و تبـــدأ المائـــة الأولـــى بموســـى بـــن نصـــير ، و تبـــدأ الثانيـــة بعبـــد الرحمـــان بـــن معاويـــة (عبـــد الرحمـــان الداخل) ، و هكذا وصولا إلى المائة السابعة[1] .

عـــرف كتـــاب الحلـــة السِـــيراء طريقـــه إلـــى المطبعـــة و النشـــر ، بعـــد أن حقـــق تحقيقـــا علميـــا مـــن طـــرف بعـــض المحققـــين المستشـــرقين أولا ثـــم مـــن طـــرف الأســـاتذة المحققـــين العـــرب ، و ذلـــك ابتـــداء مـــن منتصـــف القـــرن التاســـع عشـــر المـــيلادي ، حيـــث عـــرف طريقـــه إلـــى المطبعـــة و أضـــيف بـــذلك إلـــى رصـــيد المكتبـــة العربيـــة مصـــدرا أدبـــــيا و تاريخيـــا من أهم نفائس كنوز و ذخائر التراث العربي و الإسلامي .

((و قـــد نشـــر بعـــض المستشـــرقين تـــراجم منـــه ، و أخيـــرا حققـــه و نشره الدكتور مؤنس بعنون " الحلة السيراء " فقط))[2].

ـ **تحفـــة القـــادم[3]:** هـــو كتـــاب فـــي الأدب ألفـــه ابـــن الأبـــار خـــلال فتـــرة حياتـــه الأندلســـية ، يضـــم تـــراجم لشـــعراء الأنـــدلس و شـــواعرها ، و أراد بـــه التـــدليل علـــى توقـــد أدهـــان أهـــل الأنـــدلس رجـــالا و نســـاء و جـــودة قريحتهم و ثراء خيالهم في قرض الشعر.

و هـــو(( كتـــاب فـــي تـــراجم الشـــعراء ، يضـــم تـــراجم مائـــة مـــن الشـــعراء و أربـــع مـــن الشـــاعرات ، مـــن أهـــل الأنـــدلس ، مـــن رجـــال القـــرنين

[1] بتصرف / جرجي زيدان، المرجع السابق، جـ 3، ص 77- 78 .

[2] ابن الأبار، الديوان، المصدر نفسه، ص 20 .

[3] التحفة : هي اسم الطعام الذي يقدم للزائر و المسافر ( طعام المسافر ) ، و تختلف أسماء الأطعمة باختلاف المناسبات التي تقدم فيها مثل : الوليمة في العرس ، و الخرس عند الولادة ، و العقيقة للمولود عند اليوم السابع من ولادته ، و الوكيرة عند بناء السكن ، و الوضيمة عند الوفاة ، و النقيعة للقادم من السفر ، و العديرة عند الختان ، و المأدبة للضيافة بلا سبب ، و الحداق عند ختم القرآن ، و القرى للضيف ، و النزل لمن يحل بك للضرورة ، و الملاك عند عقد الزواج ... للمزيد ينظر / محمد بن طولون، فص الخواتم فيما قيل في الولائم ، مطبعة دمشق ، ط 1 ، 1983م ، سوريا ، ص 2.

الخامس و السادس ، مع قطع مختارة من أشعارهم و قد وصل إلينا مختصرا لهذا الكتاب ، من عمل أبي إسحاق إبراهيم بن محمد البلفيقي ( المقتضب من تحفة القادم) ))[1].

و يضارع هذا الكتاب في أسلوبه و منهجه و عنوانه ، بعض الكتب التي ألفت قبله ، و منها كتاب زاد المسافر لصفوان بن إدريس المرسي ، كما يعد تكملة له ((فلم يكد ينقضي هذا العصر حتى قام أبو عبد الله بن الأبار بتتميم عمل صفوان بمجموع سماه تحفة القادم موريا بزاد المسافر))[2].

كما يماثل في عدد تراجمه و أسلوب ترتيبها و اقتصارها على أدباء الأندلس دون سواهم ، كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق المسيلي القيرواني، وهذا ما يذكره ابن الأبار نفسه في خطبة كتابه فيقول : (( فهذا اقتضاب من بارع الأشعار بل يانع الأزهار ، قصرته على أهل الأندلس بلدي ، و حصرته إلى من سبق وفاته مولدي ... لأضاهي أنموذج أبي علي ابن رشيق في شعراء القيروان))[3]

أما عن مخطوطات كتاب تحفة القادم و تحقيقه و نشره ، فقد ذكر الكثير من الباحثين أن هذا الكتاب لم يتم العثور عليه كاملا ، بل وصل مختصرا بعد أن قام أبو إسحاق إبراهيم البلفيقي باقتضابه خلال القرن الثامن الهجري.

**- معجم أصحاب أبي علي الصدفي** : هو كتاب ألفه ابن الأبار في تراجم العلماء الأندلسيين الذين كانت لهم صلة بالشيخ أبي علي الصدفي .

[1]محمد يوسف مقلد، المرجع السابق، ص 324- 325 .
[2]أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ( مقدمة التحقيق)، أعده/ عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م، ص 6.
[3]ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ط2، المصدر السابق، ص2.

وقـد عـرف هـذا الكتـاب طريقـه إلـى النشـر ، بعـد أن تـم تحقيقـه خـلال النصـف الثـاني مـن القـرن التاسـع عشـر المـيلادي ، و قـام المستشـرق الاسباني فرانشيسكو كوديرا بنشره[1] .

**ـ مظـاهرة المسـعى الجميـل و محـاذرة المرعـى الوبيـل فـي معارضـة ملقـى السـبيل** : هـو كتـاب لابـن الأبـار القضـاعي أشـارت إليـه جـل المصـادر و المراجـع التـي تحـدثت عـن حيـاة ابـن الأبـار و آثـاره التـي خلفهـا ، و قـد سـلم مـن الإتـلاف و الضـياع الـذي أصـاب جـل كتبـه ، (( و قـد نشـره الـدكتور صـلاح الـدين المنجـد ضـمن مجمـوع تحـت عنوان " رسائـل و نصوص" ))[2]

**ثانيا: تلامذته**

التـف حـول ابـن الأبـار القضـاعي جمـع غفيـر مـن الطلبـة يأخـذون عنـه مختلـف العلـوم و الفنـون ، و قصـد حلقاتـه الكثيـر مـن أبنـاء الأنـدلس و بـلاد المغـرب ، و كانـت حياتـه العلميـة خـلال إقامتـه بالإمـارة الحفصـية حافلـة و ثريـة ، فقـد تصـدر للتـدريس بـبعض الحواضـر و مراكـز الثقافـة بهـذه الإمـارة ، و خاصـة مدينـة بجايـة التـي أقـام بهـا فتـرة طويلـة مـن حياتـه ، إذ كانـت بجايـة منـارة ثقافيـة بلـغ صداها المغرب و المشرق.

((و رحـل إلـى العـدوة و اسـتوطن بجايـة ، و درس بهـا و اقـرأ و روى و اسـمع وصـنف و ألـف ، و هـو ممـن لا ينكـر فضـله ، و لا يجهل نبله))[3].

و قـد اشـتهر الكثيـر مـن تلامذتـه الـذين كـان لهـم شـرف الانتسـاب إليـه و ذكـر بعضـهم فـي تضـاعيف مؤلفاتـه ، كمـا أشـارت العديـد مـن كتـب

[1] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 20 .
[2] المصدر نفسه، ص 20.
[3] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 311 .

التـراجم و التـاريخ إلـى أنجـب طلبتـه و ترجمـت لهـم ، و مـن بـين هـؤلاء التلامذة نذكر :

أبـو بكـر بـن سـيد النـاس ( محمـد بـن أحمـد بـن عبـد الله اليعمـري الإشـبيلي) ولـد فـي صـدر محـرم(597هـ) و تـوفي فـي 23 جمـادى الآخرة سنة(659هـ) [1].

((**أبـو إسـحاق إبـراهيم بـن محمـد بـن أبـي القاسـم التجانـي**(ت 660هـ) : و هـو مـن أخلـص تلامذتـه المتحمسـين لـه و المعجبـين بـه و كانـت أسـرته تحتـل بتـونس الحفصـية مكانـة مرموقـة فـي الإدارة و العلـم ، و كـان ذا حظـوة فـي بـلاط أبـي زكريـا . و عنـدما وفـد ابـن الأبـار مستصـرخا الأميـر الحفصـي ، و ألقـى بـين يديـه قصـيدته السـينية انتقـدها جماعـة ممـن حسـدوه علـى المكانـة الشخصـية التـي بلغهـا بهـا لـدى الأميـر ، فـانبرى لهـم أبـو إسـحاق و غيـره منتصـرا لابـن الأبـار فـألف لذلـك مـؤازرة الوافـد و مبـارزة الناقـد فـي الانتصـار لابـن الأبار"" ))[2].

**أبـو الحسـن عيسـى بـن لـب بـن ديسـم**(615 - 686هـ): و كـان مـن أنجـب تلامذتـه ، كمـا شـاركه فـي الأخـذ عـن بعـض علمـاء بلنسـية و الأنـدلس عمومـا أمثـال : أبـي الربيـع سـليمان بـن سـالم الكلاعـي ، و كـان متزوجا من إحدى بنات ابن الأبار.

((**أبـو عبـد الله محمـد بـن صـالح بـن أحمـد الكنـاني الشـاطبي**( 614 -699هـ): و هـو مـن علمـاء الأنـدلس الـذين قـاموا بنشـاط علمـي كبيـر فـي بجايـة حيـث انتفـع بعلمـه خلـق كثيـر ، و قـد لقيـه العبـدري صـاحب الرحلـة و قـرأ عليـه كتـاب ابـن الأبـار: "درر السـمط فـي أخبـار السـبط "و أجازه فيه ))[3].

---

[1]بتصرف / ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 16 .
[2]المصدر نفسه، ص 16- 17 .
[3]المصدر نفسه، ص 16 .

((**أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن حيـــان الشـــاطبي الحـــافظ** ( 635 -718هـــ ): و هـــو مـــن الشخصـــيات الأندلســـية التـــي هـــاجرت إلـــى تـــونس ، و يعـــد مـــن أهـــم الـــذين اتصـــلوا بـــابن الأبـــار ، لقيـــه ابـــن رشـــيد بتـــونس و حـــدثنا عنـــه و عـــن علاقتـــه العلميـــة بـــه فـــي صـــفحات عديـــدة مـــن رحلتـــه ، و ذلـــك في ربيع الأول سنة (684هـ) ))[1].

لقـــد كانـــت إقامـــة ابـــن الأبـــار الأخيـــرة بمدينـــة بجايـــة ، و التـــي امتـــدت علـــى مـــدى ســـبع ســـنوات خصـــبة و ثريـــة مـــن الناحيـــة العلميـــة ؛ إذ مكنتـــه مـــن الـــتخلص مـــن أرجـــاس السياســـة و مشـــاكل الحكـــم و الإدارة بـــالبلاط الحفصـــي ، الـــذي كـــان مســـرحا للتنـــافس بـــين نزلائـــه و مرتاديـــه ، و بـــؤرة للمكائـــد و الدســـائس و المـــؤامرات التـــي طالمـــا اكتـــوى ابـــن الأبـــار بنارهـــا ، فقـــد مكنتـــه هـــذه المدينـــة بأجوائهـــا الثقافيـــة الخالصـــة مـــن اســـتئناف نشـــاطه العلمـــي تدريســـا و تـــدوينا ، فتخـــرج علـــى يديـــه ثلـــة مـــن طلبـــة العلـــم و المعرفـــة ، و الـــذين كـــان لهـــم الفضـــل فـــي الحفـــاظ علـــى مـــا أبدعتـــه قريحتـــه فـــي مختلـــف العلـــوم و الفنـــون والعمـــل علـــى نشـــرها بأغلـــب ربوع بلاد الإسلام.

**ثالثا: ديـوانـه**

لـــم يشـــتهر ابـــن الأبـــار القضـــاعي بالفقـــه و التـــاريخ و الكتابـــة والحـــديث و اللغـــة ... فحســـب ، بـــل كـــان - إضـــافة إلـــى هـــذه العلـــوم والمعـــارف - أديبـــا بارعـــا و شاعـــرا مجيـــدا ، و قـــد أشـــارت جـــل المصـــادر القديمـــة إلـــى ذلـــك و أوردت لـــه بعـــض القصائـــد والمقطعـــات فـــي مختلـــف الأغـــراض التقليديـــة المعروفـــة ، و بـــالرغم مـــن إســـهاب هـــذه المصـــادر فـــي الحـــديث عـــن مؤلفـــات ابـــن الأبـــار إلا أن معظمهـــا لـــم يشـــر صـــراحة إلـــى أن لـــه ديـــون شـــعر مجمـــوع ، كمـــا أن الدراســـات الحديثـــة التـــي دارت حولـــه و أولـــت حياتـــه العلميـــة أهميـــة كبيـــرة ، لـــم تتحـــدث عـــن

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق,ص16.

وجود ديوان لابن الأبار، فقد ذكر عبد السلام الهراس قائلا : (( لم يشر أي باحث من المحدثين ممن اهتموا بابن الأبار و كتبوا عنه إلى أن له ديوان شعر ))[1].

و بقي أمر وجود ديوان شعر لابن الأبار من عدمه معلقا ، إلى أن تم العثور على نسخة مخطوطة منه من طرف بعض الباحثين في الخزانة الملكية بالمغرب ((فعندما حظيت الخزانة الملكية بالتنظيم اكتشف القائمون عليها و في مقدمتهم الأخ الأستاذ المحقق محمد المنوني كنوزا نادرة من تراثنا المغربي الأندلسي و العربي و من أهم ما اكتشف(( ديوان ابن الأبار)) و المخطوط مسجل تحت رقم 4602))[2].

ثم يصف عبد السلام الهراس مخطوط ديوان ابن الأبار و هي النسخة الوحيدة منه التي تم العثور عليها بقوله: (( و هو سفر متوسط الحجم يحتوي على 222 صفحة ... أصيب ببتر في الصفحات الأولى ... و هو مرتب على الحروف الهجائية حسب الترتيب المغربي و الأندلسي ...و خط هذا الديوان أندلسي... حسن به كثير من التصحيف و التحريف زيادة على الخروم و التآكل والديوان خال من تاريخ النسخ و اسم الناسخ))[3].

أما عن تحقيق ديوان ابن الأبار ، فقد قام الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب جامعة الملك سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس المغربية ، بتحقيقه و إنجاز دراسة فيه ، من خلال أطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه سنة (1966م) من كلية الآداب بمدريد [4].

[1]ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق ، ص 21 .
[2] المصدر نفسه ، ص 22 .
[3]المصدر نفسه، ص 22 .
[4]المصدر نفسه ، ص 22- 25 .

و في سنة (1986م) قام الباحث نفسه بتقديم الديون إلى النشر بالدار التونسية للنشر ، و في السنة نفسها أعيد نشره من طرف دار النشر السابقة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر في طبعته الثانية ، و جاء في شكله و محتواه كما يأتي:

يقع ديوان ابن الأبار في طبعته الثانية سنة (1986م) على مساحة ورقية تقارب (500 صفحة) من القطع المتوسط ، و يضم مقدمة و متن و فهارس فنية.

- **المقدمة** : تبدأ من الصفحة 5 و تنتهي عند الصفحة 30 وتحتوي على مقدمة منهجية ، متبوعة بتعريف موجز لابن الأبار القضاعي صاحب الديوان ووصف للمخطوط و مراحل التحقيق و بعض جوانبه الفنية.

- **متن الديوان** : يبدأ من الصفحة (33) ،و ينتهي عند الصفحة (469) و يتضمن : القصائد ، و المقطعات ، و النتف ، و الأبيات المفردة الموجودة في المخطوط الوحيد للديوان ، و الذي اعتمد عليه في التحقيق ، و تبدأ من الصفحة ( 33) و تنتهي عند الصفحة(433 )، (كما يتضمن المتن ،أيضا ،ملحقين اثنين يحتوي الأول على (39 )بين قصيدة و مقطعة و نتفة و بيت مفرد ، من الصفحة (437)إلى الصفحة (462 )، و جمع المحقق في هذا الملحق شعر ابن الأبار الذي أوردته مختلف المصادر المطبوعة و المخطوطة ويحتوي الملحق الثاني على قصيدتين فقط ، و يبدأ من الصفحة(465)و ينتهي عند الصفحة(469 )، و توجد القصيدتان في الورقتين المضافتين إلى مخطوطة الديوان ، و قد شكك المحقق في نسبتيهما إلى ابن الأبار ، الأمر الذي دفعه إلى إفرادهما بملحق خاص هو الملحق الثاني

- **الفهـــارس الفنيـــة** : و تبـــدأ مـــن الصـــفحة(473) و تنتهـــي عنـــد الصفحة(496) و تنقسم إلى ثلاثة فهارس هي:

- فهـــرس القصـــائد حســـب القـــوافي ( و حســـب ورودهـــا فـــي الديوان).
- فهـرس القصـائد حسـب الأغـراض الشـعرية ، وهـي كمـا يلـي : المديـــــح والاســـتنجاد و الاســـتعطاف ، الوصـــف ، الغـــزل الـــذكريات و الأشـــواق والشـــؤون ، الهجـــاء ، الألغـــاز، الرثـــاء الحكم و الزهد و النبويات.
- فهرس القصائد حسب البحور الخليلية.

**المبحـــث الثالـــث: صـــور الحيـــاة السياســـية فـــي عصـــر ابـــن الأبـــار البلنسي**

**أولا: في الأندلس**

شـــهد القـــرن الســـابع الهجـــري بالأنـــدلس أحـــداثا سياســـية و عســـكرية كثيـــرة ، و كـــان *مـــن نتائجهـــا : تراجـــع الحكـــم الموحـــدي* ، و انكســـار شـــوكة المـــسلمين ، و انحـــصار رقعـــتهم و انتكـــاس رايـــتهم ، و ذهـــاب ريحهـــم فـــي معظـــم جهـــات الأنـــدلس و بـــالموازاة فقـــد بـــدأ نجـــم الممالـــك النصرانية في الصعود ، و راياتهم المدعومـة بالنص

ليـــب فـــي الارتفـــاع ، حيـــث توحـــدت كلمـــتهم ، و اجتمعـــت فلـــولهم وشرعوا فـي إسقاط المدن الإسلامية تباعا.

ففـــي مطلـــع القـــرن الســـابع الهجـــري ، قـــرر الـــبلاط الموحـــدي تنفيـــذ مشـــروعه القاضـــي بفـــتح الجـــزر الشـــرقية ( ميورقـــة ، يابســـة ، منورقـــة ) ، و إخضـــاعها لسلطتهـــــم ، و القضـــاء علـــى ملـــك بنـــي غانيـــةفي عقـــر دارهـــم ، ثـــم ملاحقـــتهم فـــي المنـــاطق التـــي احتلوهـــا بـــالمغرب ، دون أن يكـــون لهـــؤلاء مـــلاذا آمنـــا يتحـــصنون بـــه ، و تمكـــن الموحـــدون مـــن فتح ميورقة في شهر ربيع الأول سنة ( 600هـ/ 1203م)[1].

لقـــد تمكـــن الموحـــدون مـــن بســـط ســـيادتهم علـــى كامـــل الأنـــدلس والقضـــاء علـــى آخـــر جيـــوب مقاومـــة المـــرابطين و أتبـــاعهم قضـــاء مبرمـــا كمـــا كـــان هـــذا الفـــتح تهديـــدا مباشـــرا للممالـــك النصـــرانية التـــي كـــان بنـــو غانية يسالمونهم ، و يقيمون علاقات ودية معهم.

* قامت دولة الموحدين على أنقاض المرابطين في بداية القرن السادس الهجري بالمغرب الأقصى ، و بسطت نفوذها على بلاد المغرب كلها و على الأندلس ، و قد أسسها محمد بن تومرت من قبيلة هرغة إحدى بطون قبيلة مصمودة ، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقد شكك بعض المؤرخين في صحة هذا النسب، غير أن ابن خلدون يؤكده. للمزيد ينظر/ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ، دار صادر، بيروت، ط 1، 2000 م ، ص 27- 28 .

[1]بتصرف / محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحدين في الأندلس، مطبعة لجنة التأليـــف و الترجمة والنشر، مصر، ط 1، 1964م، جـ 2، ص 258- 260 .

و استمر الخليفة الناصر في الاعتناء بشؤون الأندلس السياسية والعسكرية و الإدارية ، و ذلك بتوجيه الأوامر إلى سائر ولاة الأندلس بإعداد الجيوش ، وصنع الأسلحة ، وشراء العتاد الحربي كما قام بتعيين ولاة جدد على بعض المدن الأندلسية كإشبيلية وبسطة، وشلب وبلاد غرب الأندلس، وبطليوس وجهاتها[1].

وعليه تم التحضير لغزوة كبيرة ضد الممالك النصرانية ، والذين ما فتئ خطرهم يتزايد يوما بعد يوم، من خلال سعيهم الحثيث لتوحيد صفوفهم و تدعيم قوتهم فقد وصلهم المدد بالمال و السلاح و الرجال من الكثير من الممالك النصرانية بأوروبا.

((فلما اقترب أجل انتهاء الهدنة بين قشتالة و بين الموحدين ، أخذ ملك قشتالة ألفونسو الثامن ، يتأهب لغزو الأندلس ، و كان منذ هزيمة الأرك[2] الساحقة ، يتوق إلى الانتقام لهزيمته ، و رفع الوصمة التي لحقت من جرائها الجيوش النصرانية.

و في أوائل سنة ( 1209م) ، خرج ألفونسو الثامن من قشتالة في قواته واحتشد فرسان قلعة رباح في قلعة شلبطرة ... و سار ألفونسو صوب جيان وبياسة ، فانتسف الحقول و خرب الضياع و قتل و سبى ... و في العام التالي خرج ألفونسو إلى الأندلس مرة أخرى ، و عاث في أراضي جيان و بياسة ، ووصل في عيثه إلى أراضي ولاية مرسية ، ثم عاد إلى طليطلة مثقلا بالغنائم))[3].

---

[1]بتصرف / محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 263 .

[2]الأرك : حصن بالأندلس يقع قرب مملكة قشتالة النصرانية، دارت فيه معركة كبيرة بين قشتالة و حلفائها ، و بين الموحدين حيث حققت الجيوش الإسلامية بقيادة الخليفة الموحدي أبي يعقوب المنصور نصرا ساحقا سنة 591 هـ . للمزيد ينظر/ علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، ، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ص117.

[3]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، جـ 2، ص 284 .



و لما كانت الحاميات الموحدية بالأندلس عاجزة على رد العدوان ، قرر الخليفة الموحدي تجهيز حملة عسكرية لمواجهة خطر هجمات الممالك النصرانية.

يقول ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) : (( لما بلغ الناصر تغلب العدو على كثير من حصون بلنسية... خرج من مراكش سنة تسع و وصل اشبيلية واستقر ، وقد[1] بها و استعد للغزو... و سار على التعبئة إلى الموضع المعروف بالعقاب استعد له الطاغية وجاءه طاغية برشلونة مددا بنفسه فكانت الدبرة على المسلمين وانكشفوا في يوم بلاء و تمحيص أواخر صفر سنة تسع و ست مائة و انكفأ راجعا إلى مراكش فهلك في شعبان من السنة بعدها))[2].

و جاءت الفترة الثانية من هذه الأحداث و ما تلاها من تغير في سدة الحكم لدى هؤلاء ، بيد أن ذلك لم يكن له الأثر الذي يذكر بالرغم من طول خلافة بعضهم ، إلا أنها صورية شكلية لم تقدم في الأمر و لم تؤخر فيه ، و ذلك نظرا للأوضاع الغير اعتيادية التي كانت عليها الحال في تلك الفترة.

((و بعد موت الناصر تولى الخلافة ابنه يوسف المستنصر أبو يعقوب ولم يتجاوز العشرة أعوام ، و قيل ستة عشر عاما ، كان قليل الخبرة و التجربة... وقام أعمامه و مشيخة الموحدين بإدارة الدولة نيابة عنه ، فكانت أيامه كلها دعة و تواكل و هدنة))[3].

و بوفاة المستنصر سنة( 620 هـ/1223 م) ، دخل الموحدون في صراع دموي و تنافس حاد على السلطة ، و في هذه الأثناء ساءت الأحوال بالأندلس و ازدادت الهجمات النصرانية على

---

[1]العقاب : موضع بين مدينة جيان و قلعة رباح ، وقعت به معركة العقاب الشهيرة بين مملكة قشتالة النصرانية و حلفائها، و بين الموحدين بقيادة الخليفة الناصر سنة 609 هـ ، و انهزم فيها المسلمون. للمزيد/ ينظر ابن خلدون، كتاب العبر، جـ 6، ص 336.

[2]ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر نفسه، جـ 6 ، ص 521-522 .

[3]داود عمر سلامة عبيدات، المرجع السابق، ص 126 .

مرسية و اشبيلية ، وسيطر حاكم برشلونة على ميورقة سنة (627 هـ/ 1229 م) ، و قد اغتنم النصارى حالة الضعف و التفكك و زحفوا على الأراضي الإسلامية في وقت واحد ؛ فأرغون من الشرق والبرتغال من الغرب ، و قشتالة من الشمال ، بمساندة قوات صليبية من أنحاء أوروبا [1].

((إزاء هذه الأوضاع المتردية جمع الأندلسيون كامل قواهم الذاتية ، و قاموا بانتفاضة شعبية شاملة ... و سلموا زعامتهم إلى رجال من أبنائهم ، كان أولهم ابن هود الذي تزعم الثورة سنة( 625 هـ/1227 م)، و ثانيهما أبو جميل زيان سنة 626)هـ/ 1228 م) و آخرهم الثائر ابن نصر سنة( 629 هـ/ 1231م) ))[2].

و في هذه الأثناء فر والي بلنسية أبو زيد بن أبي حفص بعد ثورة وزيره أبي جميل عليه ، و التجأ إلى حاكم أرغون ، ويذكر ابن خلدون أنه دخل في دين النصرانية[3].

و تعد حادثة الارتداد هذه ،إن صحت ،دليلا على مدى الإفلاس و الهوان الذي أصاب الحكام الموحدين بالأندلس خلال هذه الفترة الحرجة في تاريخها وقد كُبِت بقادة ضعاف و متخاذلين همهم الوحيد البقاء في سدة الحكم ، و هم غير مؤهلين للقيام بأعبائه و تبعاته ؛ فجلبوا الويل على البلاد و العباد.

و ذكر لسان الدين بن الخطيب ( 776هـ/1374م) أن أبا جميل زيان قد دخل بلنسية ، و أعلن الولاء للعباسيين ، و بايعته بعض المدن والحصون الأندلسية و لم يمهله ملك أرغون طويلا ، و أوقع به الهزيمة بأنيشة قرب بلنسية ، و هلك فيها من المسلمين خلقا كثيرا ، ولم يجد من يمد له يد العون من أهل الأندلس فأعلن بيعته

[1] داود عمر سلامة عبيدات ،المرجع السابق، ص 127- 129 .
[2] ، المرجع نفسه، ص 129 .
[3]بتصرف/ المرجع نفسه، ص 129- 130 .

لأبـي زكريـا الحفصـي[1] حـاكم تـونس ، حيـث قـدم عليـه كاتبـه ابـن الأبـار مستنجدا به لنصرة مدينته ، و ألقى بين يديه قصيدته السينيـة:

**أَدرِك بِخَيلِك خَيلَ اللهِ أَنْدلُسا إِن السبِيلَ إِلى منْجاتِها درساَ**

و لـم يصـل المـدد و العـون إلا بعـد أن أحكـم الحصـار حولهـا سـنة (635 هـ)[2].

((و واصـل... ملـك أرغـون منازلـة بلنسـية ورميهـا بالمجـانيق وشـدة القتـال ؛ و مـا زال المسـلمون تـنقص أعـدادهم ، و النصـارى تتـوارد أمـدادهم ... إلـى أن بلـغ الكتـاب أجلـه ؛ فكانـت المراوضـة علـى إسـلام البلـد ، و الخـروج عنـه فـي الرابـع عـشر لصـفر مـن السـنة بعـد سنة المنازلة)).[3]

و سـقطت الحواضـر الأندلسـية تباعـا فـي أيـدي الممالـك النصـرانية حيـث سـقطت قرطبـة سـنة(633 هـ/1236 م) قبـل بلنسـية بـثلاث سـنوات ، كمـا لقيـت المصـير نفسـه كـلا مـن مرسـية سـنة(644 هـ/1246 م) ، و إشـبيلية سنـة(646 هـ/1248 م) ، و كـان هـذا السقوط المريع في مدة و جيزة[4].

وكـان لهـذه الهـزائم المتتاليـة، أثرهـا البـارز فـي مزيـد مـن الانهـزام و التقهقـر مـن قبـل المسـلمين، و قويـت بالتـالي شـوكة النصـارى، و أخـذوا بزمـام المبـادرة و الهجـوم وسـيطروا علـى قـلاع المسلمين قلعة تلو الأخرى.

---

[1]يرجع نسب الحفصيين إلى هنتانة إحدى بطون قبيلة مصمودة البربرية، و كان أبو حفص عمر من أصحاب محمد بن تومرت المقربين، و هو الشخصية الثانية بعد عبد المؤمن بن علي في نظام الموحدين، ثم استقل بنوه بحكم افريقية سنة 627 هـ بعد خلاف عقائدي مع المأمون الموحدي، ثم ادعوا الانتساب الى عمر بن الخطاب في عهد المستنصر الحفصي . للمزيد ينظر/ ابن خلدون، كتاب العبر ، جـ 6، ص 577- 578 .

[2]بتصرف/ لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية ( أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام) تحقيق/ ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، لبنان ، ط 2 ، 1956م، ص 272- 273 .

[3]ابن الخطيب، المصدر السابق، ص273 .

[4]بتصرف/علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، المرجع السابق، ص 175 .

((بينهـــا و بـــين مصـــب الـــوادي الكبيـــر ، فاســـتولى النصـــارى تباعـــا علـــى: شـــريش شـــذونة ، قـــادس ، شـــلوقة ، غليانـــة ، روضـــة ، ثغـــر شـــنتمرية ، و غيرهـــا... و تحـــالف ابـــن الأحمـــر مـــع النصـــارى وعـــاونهم علـــى قـــادس ، و بهـــذا بســـط القشـــتاليون ســـلطانهم علـــى ســـائر الأراضـــي الإســـلامية فـــي غربـــي الأنـــدلس ، و انكمشـــت رقعـــة الدولـــة الإسلامية بسرعة مروعة))[1].

و بهـــذه النكبـــات و الهـــزائم المتتاليـــة ، انفـــرط عقـــد الأنـــدلس الثمـــين وقـــد كـــان مـــن قبـــل منظومـــا ، و لـــم يبـــق مـــن المـــدن و الممالـــك الأندلســـية الكبيـــرة ، إلا مملكـــة غرناطـــة بقيـــادة محمـــد بـــن يوســـف ابـــن الأحمـــر فعـــرف كيـــف يســـتغل الموقـــف المضطـــرم ويســـتثمره لصـــالحه ، فـــي مهادنة النصارى ربحا للوقت و تحينا للفرصة.

و أســـتطاع هـــذا القائـــد بحنكتـــه و دهائـــه أن يؤســـس دولـــة فـــي الجنـــوب الـــشرقي للأنـــدلس و أعلـــن النصـــارى الحـــرب عليـــه فـــي عـــام ( 660هـــ/1261م) ، و تمكـــن مـــن تحقيـــق نصـــرا كبيـــرا علـــيهم ؛ فانتعشـــت معنويـــات الأندلســـيين بعـــد الأهـــوال و النكبـــات التـــي حلـــت بهـــم و لكـــن الهجمـــات مـــن قبـــل ملـــك قشـــتالة لـــم تتوقـــف ؛ فبـــايع المستنـــصر الحفصـــي حـــاكم تـــونس ، حيـــث أمـــده بـــبعض العـــون و المســـاعدة لكنهـــا لـــم تجـــدِ نفعـــا ممـــا جعلـــه يضـــطر إلـــى مهادنـــة ملـــك قشـــتالة ، ثـــم طلـــب العـــون مـــن أبـــي يوســـف المريـــني ،و مـــات ابـــن الأحمـــر ســـنة(671هـــ) ، بعـــد أن وطـــد الملك لبني نصر استمر أكثر من مائتين و خمسين سنة أخرى [2].

فـــي خضـــم هـــذه الأحـــداث الجســـيمة ، و الأوضـــاع المضـــطرمة التـــي شـــهدتها الأنـــدلس خـــلال القـــرن الســـابع الهجـــري ، هـــاجرت جمـــوع غفيـــرة مـــن الأندلـــسيين مـــوطنهم متجهـــين صـــوب المغـــرب و المشـــرق

[1] علي محمد الصلابي المرجع السابق، ص 179
[2] المرجع نفسه، ص 182- 183 .



، بحثا عن الأمن و الاستقرار المفقودين بالأندلس السليبة ، و التي تكالبت عليها قوى النصرانية المدفوعة بحقد صليبي أعمى و تخاذل أبناءها في نصرتها و الدفاع عنها ، و قد وصف عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال** ، الحال المزرية التي بلغتها الأندلس ، و التفكك الذي باعد بين مدنها و أقاليمها فأضحت لقمة صائغة للأعداء ، فعند أخذ ألفونسو السادس لطليطلة سنة(475هـ) قال قصيدته التي ظاهرها اليأس و باطنها الحث و التحريض و شحذ العزائم و الهمم و أيقاظ الضمائر ، و مما جاء فيها.

**يا أهلَ أَندُلس حثوا مطِيكُم فما المقام بِها إلاَّ مِن الغَلَطِ**

**الثَّوب ينْسلُ مِن أَطْرافِهِ و أَرى ثَوب الجزيرةِ منْسولاً مِن الوسطِ**

**ونحن بين عدو لا يفارقـنا كَيفَ الحياةُ مع الحياتِ فِي سفَطِ[1]**

**ثانيا: في المغرب**

عرف المشهد السياسي ببلاد المغرب خلال القرن السابع الهجري ، اضطرابا وصراعا داميا بين الموحدين و حلفائهم ، و أنصار المرابطين الذين كانوا يطمحون في استعادة أمجاد دولتهم من جديد ، و خاصة من خلال حلفائهم من الأعراب وبني غانية ، و نتج عن هذا الصراع هزيمة القبائل المناوئة للدولة الموحدية من جهة و كذلك تصدع دولة الموحدين و انهيارها ، و ظهور دويلات جديدة بمختلف أنحاء المغرب من جهة أخرى.

---

**هو عبد الله بن فرج بن زغلون اليحصبي ، كنيته أبو محمد ، و يعرف بلقب ابن العسال أو العسال ، من كبار زهاد طليطلة ، مشهور بالكرامات ، كان حافظا للحديث عالما باللغة متبحرا في علومها متقنا لفنونها ، غادر طليطلة بعد استيلاء العدو عليها ، فقصد غرناطة و بها توفي سنة (487هـ) . للمزيد ينظر/ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق/ شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، جـ 2 ، ص21 .

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، جـ 4، ص 352 .

ففـــي ســـنة(601هـــ) خـــرج الخليفـــة الناصـــر لـــدين الله الموحـــدي فـــي حملـــة عســـكرية كبيـــرة لاســـترجاع تـــونس و بعـــض مـــدن المغـــرب الأدنـــى و الأوســـط ، و التـــي ســـيطر عليهـــا بنـــو غانيـــة مـــن قبـــل ، فـــدخلها ثـــم حاصـــر المهديـــة كـــذلك ، ولجـــأ ابـــن غانيـــة إلـــى قـــابس هـــو و مـــن معـــه مـــن الأعـــراب ، فلاحقهـــم الشـــيخ أبـــو محمـــد عبـــد الواحـــد بـــن أبـــي حفـــص و أوقـــع بهـــم الهزيمـــة بناحيـــة تـــاجرا قـــرب قـــابس ، و اســـتولى علـــى معســـكرهم ثـــم رجـــع الـــى المهديـــة فكـــان ســـببا فـــي استســـلامها ، و لاحـــق الموحـــدون فلـــول بنـــي غانيـــة و الأعـــراب و القبائـــل المناوئـــة إلـــى مـــا وراء طرابلس ، و فر ابن غانية إلى صحراء برقة و انقطع خبره.[1]

و يظهـــر أن متاعـــب الـــبلاط الموحـــدي لـــم تنتـــه بهزيمـــة بنـــي غانيـــة فـــي الأنـــدلس كمـــا مـــر معنـــا مـــن قبـــل ، فقـــد بـــرز هـــؤلاء مـــن جديـــد علـــى مـــــسرح الأحـــــداث بـــــالمغرب واســـــتقطبوا إلـــــيهم بعـــــض القبائـــــل الأعرابيـــة المعروفـــة بـــالغزو ، و تمكنـــوا مـــن الاســـتيلاء علـــى بعـــض المناطق الشرقية من بلاد المغرب .

ولما قرر الخليفة الناصر مغادرة إفريقية سنة(603هـ) ، أسند الى أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص الهنتاني أمرها ، و أعطاه مطلق التصرف في إدارتها كي يستطيع القيام بأعبائها ،و يقضي على الفتن و الثورات المستمرة هنا بزعامة بني غانية و أ حلافهم من العرب[2].

و ذكر ابن خلدون أن الشيخ ابن أبي حفص قد اعتذر عن قبول هذه المهمة في البداية ، لكن إلحاح الخليفة الناصر عليه جعله يوافق بعد أن اشترط شروطا منهـا : العودة إلى المغرب بعد قضاء مهمات إفريقية في ثلاث سنين ، وأن يعطى مطلـق السلطة في التولية و العزل ؛ فوافق الخليفة على هذه الشروط[3].

---

[1]للمزيد ينظر/ ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 582 - 583، و ما تلاهما ...
[2]بتصرف/ علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، المرجع السابق، ص 262 .
[3]بتصرف/ ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر نفسع، جـ 6، ص 583 .



و يمكن عد هذه الشروط إرهاصات أولى ، و تباشير انفصال سياسي عن الدولة الموحدية ، و الإنفراد بحكم الجهة الشرقية لبلاد المغرب.

و عند وفاة الخليفة الناصر سنة ( 610هـ) ، تمهل الشيخ أبو محمد في بيعة الخليفة الجديد المستنصر ثم بايعه بالخلافة لاحقا.

و قام المستنصر بتعيين عمه أبا العلاء إدريس أميرا على تونس ليعنى بتدبير شؤونها إلى جانب الشيخ أبي محمد عبد الواحد ، ولم يكن هذا التعيين محلا لرضا الشيخ و رأى فيه مضايقة له ولكن هناك من يقول بأن تعيين أبي العلاء لإمارة تونس لم يقع إلا بعد وفاة الشيخ أبي محمد ببضعة أشهر[1].

و من ثمة بعد تراكم هذه الأحداث بمجرياتها المتعددة و الكثيرة جاءت مرحلة أخرى : (( توفي الشيخ أبو محمد عبد الواحد بتونس في مستهل شهر محرم سنة (618هـ/ 8 مارس 1220م ) ، بعد أن لبث نيفا و أربعة عشر عاما يضطلع بأعباء منصبه الشاقة... وكان لعزمه و شجاعته أكبر الأثر في تحطيم ثورة بني غانية ، و إنقاذ سلطان الموحدين بإفريقية ، و حماية جناح الدولة الموحدية الشمالي الشرقي من الانهيار))[2].

و لم يكن تعيين الشيخ ابن أبي حفص واليا على الجناح الشرقي لدولة الموحدين قرارا اعتباطيا ، بل هو تدبير مقصود يهدف إلى التخلص من نفوذ آل بني حفص في البلاط الموحدي الذي سيطر عليه آل عبد المؤمن ، فقد كان أبو حفص عمر الرجل الثاني في نظام الموحدين.

و مهما يكن من أمر فإن وفاة الشيخ أبي محمد عبد الواحد قد جعل يحيى بن إسحاق بن غانية يتحرك من جديد ضد الموحدين

---

[1] بتصرف/ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، جـ 2 ، ص 373 .

[2] بتصرف/ المرجع نفسه، جـ 2، **ص** 374 .

ويسيطر على بلاد الجريد فتحرك إليه أبو العلاء في جيش من الموحدين و العرب الموالين لهم و أوقع بهم الهزيمة وشتت شملهم ، و كان ذلك سنة ( 621هـ/1223م)، و استمرت غارات يحيى بن إسحاق بن غانية و من يواليه من القبائل العربية ، إلى أن مات على ضفاف نهر الشلف سنة(631هـ)[1].

و يظهر من خلال الأحداث التي لا تكاد تنتهي فصول منها حتى تبدأ الأخرى أن هذه البلاد قد تشكلت دقائقها و أحداثها وفق هذه الأنماط من السلوكات العنيفة المتعاقبة في بلاد المغرب ، و الذي لعب فيها بنو غانية أبرز الأدوار.

و بوفاة الخليفة الموحدي المستنصر سنة( 620هـ/1223م) دخل آل عبد المؤمن في صراعات دموية على السلطة ، حيث تداول عليها في فترة وجيزة ثلاثة خلفاء كان ثالثهم المأمون ، الذي دعا لنفسه بالخلافة ، و استعان بالنصارى على أخيه العادل سنة ( 624هـ)[2].

و كان هذا الصراع إيذانا بتفكك و انهيار الدولة الموحدية ، في مختلف المجالات و الجهات التي بسطت عليها سلطتها من قبل وظهور بعض الدول المستقلة بمختلف جهات بلاد المغرب ، مما مكن وسائط الضعف من الانتشار ووسائل التحلل و التمزق من الاتساع ، و هذه نتيجة حتمية .

وأرسل المأمون إلى والي تونس أبي محمد عبد الله ليأخذ منه البيعة ، فرفض مبايعته ، فأرسل إلى أبي زكريا الحفصي حاكم قابس ، و ولاه على بلاد إفريقية كلها وقبل بيعته وسيطر على تونس في الرابع و العشرين من رجب سنة (625هـ) ، ثم تخلى

[1] بتصرف/ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، جـ 2، ص 374- 378 .
[2] بتصرف/ داود عمر سلامة عبيدات، المرجع السابق، ص 127- 128 .



عــن بيعــة المــأمون الموحــدي ، و انفصــل نهائيــا عــن الدولــة الموحديــة سنة(626هـ/ 1229م)[1].

و تلقــب بــالأمير و وضــع علامتــه فــي رســائله ، و جــدد البيعــة لنفســه ســنة( 634هــ) و ذكــر اســمه فــي الخطبــة بعــد الإمــام ابــن تــومرت مؤســس دولــة الموحــدين وقــد أشــار عليــه بعــض الشــعراء أن يتســمى بأمير المؤمنين في بعض قصائدهم إذ قال أحدهم:

**ألا صِلْ بِالأَمِيرِ المؤْمِنِين فَأَنْتَ بِها أَحق العالَمِينَا**

و قد رفض ذلك حتى نهاية حكمه.[2]

وبــذلك قامــت الدولــة الحفصــية ، وارثــة الدولــة الموحديــة علــى بــلاد المغــرب الأدنــى والجهــة الشــرقية مــن بــلاد المغــرب الأوســط ، بزعامــة الأميــر أبــي زكريــا الحفــصي الــذي(( اســتطاع أن يخضــع الجزائــر أو بعبــارة أدق أن يضــمها إلــى ولايتــه ، إذ كانــت دولــة الموحــدين قــد ضــعفت ضــعفا شــديدا ، فاســتقام لــه حكــم البلــدين حكمــا رشــيدا يقــوم علــى نشر العدل و الأمن في البلاد))[3].

و بــدأت أهــداف الحفصــيين تتحقــق تــدريجيا ، و دولــتهم تمتــد باتجــاه الغــرب ، وارثــة بــذلك الدولــة الموحديــة الآيلــة للســقوط ، بفضــل حنكــة قــادة الإمــارة الحفصــية الصــاعدة و فــي ســنة( 633هــ/ 1236م) تســلم يغمراســن ولايــة تلمســان بعــد وفــاة أخيــه فكــان أول أميــر مــن بنــي عبــد الــواد أعلــن اســتقلاله عــن الموحــدين ، ويعتبــر عهــده بدايــة الدولــة الزيانية و نهاية عهد الموحدين بالمغرب الأوسط[4] .

---

[1] بتصرف/ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم/ محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد الريحي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م ، ص107-108

[2] بتصرف/ ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 594- 595 .

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول و الإمارات)، دار المعارف، القاهرة، ط 1 ، 1995م ، ص 40 .

[4] بتصرف/ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 42 .

و قد أظهر يغمراسن حنكة سياسية وحربية و عزما و حزما كبيرين ، فتمكن من تأسيس دولة قوية ، استعصت على الأعداء و ذلك لقوة شوكتها و دربة مراسها ، حتى أنها استمرت عدة قرون و قد وصف يحيى بن خلدون مؤسسها يغمراسن بقوله : (( فارع الثنية و عاطف الحنية ، و المستأثر دون الملوك بالخلال السنِية))[1].

لقد شكل قيام دولة الزيانيين ضربة جديدة للموحدين ، تضاف إلى الضربات التي تلقوها من قبل ، فانفرط عقدهم و ذهبت ريحهم و تلاشى ملكهم ؛ نتيجة الصراعات و الفتن التي نخرت جسد دولتهم ؛ فأخنى عليها الذي أخنى على لبد .

و رأى الحفصيون أنهم أحق بوراثة ملك الموحدين ، فشرع أبو زكريا في بسط سلطته على تلمسان ، و قرر إخضاعها لحكمه وضمها إلى إمارته.

(( و في شهر شوال من سنة تسع و ثلاثين و ستمائة تحرك إلى تلمسان في جيش جملته أربعة و ستون ألف فارس ، و في شهر ربيع الأول من سنة أربعين و ستمائة دخلها عنوة من باب كشوطة ... و صاحبها حينئذ أبو يحيى يغمراسن بن زيان العبد الوادي ... ثم رجع الأمير أبو زكرياء إلى تونس سالما غانما ، و قد سلم البلاد للعبد الواديين إلا من مليانة شرقا ... و في سنة ثلاث و أربعين وستمائة وصلت بيعة إشبيلية و المرية و شريش و طريف و سبتة و قصر ابن عبد الكريم وسجلماسة))[2]

و كانت بيعة أهل بلنسية قد وصلت من قبل ،كما مر معنا ،و من خلال تتابع الصراعات التي كانت قائمة حينئذ ، فقد فرضت بيعات

[1]يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق/ عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م ، جـ 1 ، ص 204 .
[2]ابن قنفذ القسنطيني، الفرسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص 109 .

جديــــدة و تغييـــــرات منتظمـــة ، و إعــــادة رســـم خريطـــة سياســـية جديـــدة لبلاد المغرب.

و بـــايع المرينيـــون الـــذين كـــانوا يقـــاتلون الموحـــدين بـــالمغرب الأقصــــى أبـــا زكريـــا الحفصـــي خوفـــا مـــن ســـطوته ، و حملـــوا الكثيـــر مـــن قبائـــل وأمصار المغرب الموالـون ) 2)لهم على مبايعته كذلك[1] .

لقـــد اســـتطاع الســـلطان أبـــو زكريـــا أن يرســـخ دعـــائم مملكتـــه بتـــونس و يواجـــه خصـــومه فـــي الـــداخل و الخـــارج بحنكـــة و دهـــاء كبيـــرين ، كمـــا تمكـــن مـــن توســـيع حـــدود دولتـــه مـــن طـــرابلس شـــرقا إلـــى تلمســـان غربـــا و أن يحظـــى بثقـــة و رضـــا الكثيـــر مـــن المـــدن و الممالـــك الإســـلامية بالأنـــدلس و المغـــرب ، و لا أدل علـــى ذلـــك مـــن الوفـــود الغفيـــرة التـــي جاءتـــه مبايعـــة مـــن الممالـــك و الأمصـــار، و ظهـــر و كأنـــه ســـيعيد الوحـدة السياسية لبلدان المغرب الإسلامي مرة أخرى.

و خـــرج أبـــو زكريـــا مـــن تـــونس النجهـــة قســـنطينة للإطـــلاع علـــى أحوالـــــها ، و وصـــل إلـــى باغايـــة فأصـــاب الســـلطان هنـــاك المـــرض فرجـــع إلـــى قســـنطينة و منـــه توجـــه إلـــى بونـــة و نـــزل بظاهرهـــا ، فاشـــتد به المرض و توفي بها سنـة ( 647هـ ) و دفن هناك[2].

و بوفاتـــه تنتهـــي فتـــرة التأســـيس و إثبـــات الوجـــود للدولـــة الحفصـــية و تبـــدأ مرحلـــة جديـــدة مـــن تـــاريخ هـــذه الدولـــة ، حيـــث يســـعى الـــبلاط الحفـــصي الجديـــد إلـــى تعزيـــز المكاســـب الثمينـــة التـــي تحققـــت مـــن قبـــل و العمل على ترقية الحياة بكل صورها فـي هذه الإمارة.

((وبعـــد مـــوت أبـــي زكريـــا تـــولى زعامـــة الحفصـــيين ابنـــه أبـــو عبـــد الله محمـــد الـــذي تســـمى بالمستنصـــر بـــالله الـــذي أعلـــن نفســـه أميـــر المـــؤمنين بعـــد ســـقوط بغـــداد بيـــد التتـــار عـــام (656هـــ) ، وكـــان إعـــلانه كـــأمير

[1]بتصرف/يحي ابن خلدون، المصدر السابق، جـ 6 ، ص 618- 619 .
[2]ابن خلدون ,المصدر السابق، جـ 6 ، ص 654 .

المـــؤمنين للمسلميـــن ســنة ( 657هـــ/1259م) ، و بايعـــه شـــريف مكـــة بالخلافة))[1].

و بوصـــول بيعـــة أهـــل الحجـــاز ، حققـــت الدولـــة الحفصـــية الناشـــئة مكســبا سياســـيا و دينيـا لـم تكـن تحلـم بتحقيقـه أعظـم الإمـارات فـي ذلـك الوقـــت التـــي قامـــت بـــالمغرب الإســـلامي ، و أضـــحت تتمتـــع بثقـــة واحترام المسلمين في مختلف الجهات .

و يـــــذكر القلقشـــــندي ( ت821هـــــ/ 1418م) : (( إن المستنصـــــر أول مـــن تلقـــب بـأمير المـؤمنين مـــن خلفـاء الدولـــة الحفصـــية ، و ذلــك عقــب ســـــقوط الخلافـــــة العباســــية ببغـــداد ، و مبايعـــــة شـــــريف مكـــــة لـــــه بالخلافة))[2].

و لقــد كـــان للطـــابع الـــديني الأثـــر الكبيـــر فـــي حيـــاة الخلفـــاء الحفصـــيين فهـــم جمـــيعهم ينتســـبون إليـــه ، و يحـــاولون العمـــل بمقتضـــاه ؛ لـــذلك كـــانوا يتســـمون بأســـماء عظمـــاء العهـــد الإســـلامي الأول ، حتـــى مـــراتبهم و أسماء إماراتهم.

حـــاول بنـــو حفـــص أن يربطـــوا أنفســـهم بالأصـــل العربـــي ، فزعمـــوا أنهـــم مـــن ســـلالة عمـــر بـــن الخطـــاب ، و أعلنـــوا ذلـــك فـــي كـــل حفـــل و مناســـبة ، و أطلقـــوا اســـم الدولـــة 1 العمريـــة أو الفاروقيـــة علـــى الدولـــة الحفصية[3].

و يظهـــر أن الحفصـــيين و مـــن خـــلال إدعـــاء الانتســـاب إلـــى عمـــر بـــن الخطـــاب ســـعوا إلـــى تـــوفير الشـــرعية الدينيـــة لـــدولتهم ، وربطهـــا بالنســـب العربـــي الصـــريح و المتمثـــل فـــي قـــريش - قبيلـــة الرســـول صـــلى الله عليـــه

---

[1] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 267 .

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، جـ 5، ص 135 .

[3] بتصرف/ علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص - 267- 268 .

و سلم - على غرار العباسيين و الفاطميين من قبل ، و ذلك توطيدا لسلطانهم و كسبا لمحبة الناس و استدرارا لعواطفهم الدينية.

و تمكن بنو مرين من إسقاط ما تبقى من دولة الموحدين بالمغرب الأقصى وكان ذلك سنة ( 668هـ/1269م) ، و بعد هذا التاريخ استقل المرينيون بحكم المغرب الأقصى و أنهوا تبعيتهم للحفصيين[1].

و لم يمر وقت طويل على هذه الأحداث المتوالية ، ففي السنة نفسها كانت حملة النصارى بقيادة الفرنسيس على تونس ، إذ نزلوا ساحل قرطاجنة ثم انسحبوا منها صلحا بعد موت ملكهم و اختلال التوازن لديهم ، فصار أمرهم إلى رحيل و فعلوا [2].

و استمر المستنصر الحفصي يسهر على شؤون الحكم و القيام بأعبائه وازدهرت في أيامه الدولة الحفصية في الكثير من المجالات ، و كانت وفاته بتونس سنة( 675هـ) ، وخلفه ابنه الواثق بعد أن بايعه الناس بالخلافة في السنة نفسها [3].

و مما تقدم ذكره يتضح أن الحياة السياسية بالأندلس وبلاد المغرب قد عرفت الكثير من الأحداث و الصراعات والفتن المتعددة الأطراف بين المسلمين فيما بينهم من جهة ، و بين المسلمين و النصارى من جهة أخرى ، و كانت نتائجها سقوط المدن و الممالك الإسلامية بالأندلس في أيدي النصارى ، وتراجع المسلمين وهجرتهم إلى المشرق و المغرب ، ولم يتبق للمسلمين في نهاية القرن السابع الهجري بالأندلس إلا مملكة غرناطة.

كما شهد هذا القرن ببلاد المغرب تفكك الدولة الموحدية إلى ثلاث دويلات هي :دولة بني حفص بالمغرب الأدنى و شرق المغرب

---

[1]بتصرف/ نفس المرجع السابق، ص 234- 235 .
[2]ينظر/ ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، جـ 6، ص 667.
[3]بتصرف/ ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص 134 .

الأوسط ، و عرفت ازدهارا كبيرا ، و هاجر إليها الأندلسيون بكثافة ، واستقطبت جل العلماء و الأدباء من أهل الأندلس ، و لذلك تعد الدولة الحفصية ، دولة العلم و العلماء ؛ لسعتها لهم وحرصها عليهم ، و دولة بني زيان بالمغرب الأوسط ، و عاصمتها تلمسان، وكان طابعها حربيا أكثر مع عنايتها بالعلم و العلماء أيضا ، و دولة بني مرين بالمغرب الأقصى و التي قضت نهائيا على الموحدين وذلك سنة( 667هـ).

لقد حرصت هذه الدول الفتية جاهدة العمل على استتباب الأمن والاستقرار وهما الشرطان الأساسيان في تحقيق التطور الاقتصادي المرجو ، و الرفاهية الاجتماعية المنشودة.

**تمهيد**

نهجت كتب الصلات التي ظهرت في الأندلس، نهجاً يقضي في الغالب من الكتاب المؤلف تالياً، عدم إعادة ذكر المادة العلمية (التراجم) الواردة في الكتاب المستهدف بالصلة، في متن الكتاب المتمِم، كون هذه الكتب، تهدف من وراء التأليف على هذا النهج إلى تكملته، بتقديم سير علماء الأندلس الذين عاشوا في الفترة اللاحقة زمنياً على فترة الأصل.

بينت القراءة الأولية لكتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (ت658هـ/1260م) الذي قيد فيه أسماء علماء الأندلس في الفترة اللاحقة على كتاب الصلة لابن بشكوال (ت578هـ/ 1183م) تكرار حضور اسم ابن بشكوال وكتابه الذي يمثل الأصل، في كتاب التكملة الذي يمثل المتمِم.

دفع هذا الأمر الباحث إلى إعادة قراءة الكتابين بتأنٍ وتؤدة ، لمحاولة الكشف عن هدفين: تمثل الأول بتعرف مقدار حضور كتاب الصلة في كتاب التكملة. بينما جاء الهدف الثاني للكشف عن طبيعة ذلك الحضور ومداه ، بعدما تبين أنها تعقبات واستدراكات من مؤلف كتاب التكملة على كتاب الصلة ومؤلفه، فعمد الباحث إلى استخراجها وتصنيفها ودراستها وتحليلها ومقارنتها مع نص كتاب الصلة، لبيان نوعيتها وطبيعتها.

**المبحث الأول : منهج ابن الأبار في كتابه التكملة**

**أولا- كتب الصلات:**

شغف أهل الأندلس بالتأليف والكتـــابة عن سير علمائهم ومثقفيهم، وقدموا من أجل ذلك العديد من كتــــب التراجم، واتبعوا في ذلك نمطاً خاصاً برزوا فيه، هو نمط الصلات الذي عني بتتمة جهود بعضهم بعضاً على نحو متوالٍ، وذلك بأن يتابع مؤلف الكتـــاب اللاحق(التكملة) جهد مؤلف الكتــــاب السابق(الصلة)، في رصد أسماء وحياة ونشاط علمائهم ومثقفيهم، وبالمنهج ذاته الذي سار عليه الأصل، والحدود المكـــانية ذاتها التي تشمل كامــل تراب وطنهم الأندلس، وبانفتاح كامــل على التخصصات الثقافية جميعها فاحتوت كتــبهم تراجم عموم المثقفين والمبرزين في الحياة الثقافية الأندلسية، مع فارق أساس بين السابق واللاحق، يخص ما يمنح الكتاب اللاحق شرعية وجوده، وهو الفارق الزمني المنشود بالتأريخ والتسجيل،فيبدأ اللاحق عادة من لحظة إقفال التقييد في الكتاب السابق وانتهائه، ويستمر هو نفسه بالتأريخ إلى لحظة الإقفال الجديدة الخاصة به، التي تكــــون في العادة فترة قريبة من وفاة المؤلف، على غير إعادة منه في الغالب للعلماء المذكورين في الأصل، من باب احترام الصلة للأصل، فلكل منهما حدود زمنية التزمها وتقيد بها في عمله.

تبدأ حلقات كتـــب الصلات الأندلسية المؤلفة بوضوح وصراحة[1] كصـــلة لسابقتها، مع كتــاب الصلة للحافظ ابن بشكـوال (ت578هــ/1183م)[2] ، الذي شرع في تأليفه نزولاً عند رغبة أصدقائه في قرطبة، الذين طلبوا إليه؛ لمكـــــــانته العالية في الحياة الثقافية

[1] توصلت استنتاجاً في دراسة سابقة، إلى نتيجة أخرى مفادها: أن المؤرخ أحمد ن محمد بن عفيف (ت 420هـ /1029م) قد سبق ابن يشكوال في ذلك، وألف كتاباً بعنوان " الانتخاب"، وجعله صلة وتكملة لكتاب أحمد بن محمد بن عبد البر(ت338هـ /853م ) المؤلف في "الفقهاء والقضاة في قرطبة"على غير ما تأكيد على ذلك، بنص قطعي الدلالة بخصوص ذلك من مقدمة الكتاب مثلاً، لأنهما في عداد الكتب المفقودة، انظر تفصيل ذلك في: يوسف بني ياسين الحسن بن محمد القبشي (ت بعد 430هـ/1038م )، الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد36،العدد3، تشرين الاول2009م، ص555-556.

[2] ابن بشكوال خلف بن عبد الملك(ت578هـ/1183م)، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، بيروت،1989م، ص 110.

الأندلسية،[1]أن يصل لهم كتـــــــــــــاب تاريخ علماء الأندلس، الذي ألفه ابن الفرضي (ت403هــ/1012م)[2] ، وأرخ فيه لعلماء الأندلس منذ بداية الإسلام فيها، إلى ما يقرب من وفاته؛ إذ وقف فيه عند سنة 395هـــ/1004م[3]، وقد حاز إعجاب الأندلسيين، لأنه- حسب ابن بشكـــوال- "بلغ فيه النهاية من الحفل والإتقان"[4]، فلبى ابن بشكـــوال طلبهم، على غبطة ورغبة منه في ذلك، فـــسارعت إلى ما سألوا، وشرعت في ابتدائه على ما أحبوا"[5].

لم يأتِ المنهج الذي سار عليه ابن بشكوال في تأليف صلته على كتـاب ابن الفرضي بدعاً، بل تقليداً لما سار عليه الأصل، وقد نص على ذلك في مقدمة كتابـه بقوله " رتبته ( يعني الصلة) على حروف المعجم، ككتـــاب ابن الفرضي، وعلى رسمه وطريقته"[6]، و" قصدت إلى ترتيب الرجال في كل باب، على تقادم وفياتهم، كـالذي صنع هو"[7]، أما نقطة البداية الزمنية التي رسم أنه سيبدأ منها تدوين وذكـــر علماء الأندلس في كتـــاب الصلة، والتزم بها عملياً في كتابـــه، فهي " من حيث انتهى كتابـــه، وأين وصل تأليفه (ابن الفرضي)، متصلاً إلى وقتنا هذا"[8]، وتبين أن كلمـــة "هذا" المشار إليها آنفاً تعني لديه سنة (534هـ/1139م )[9] حينما أنهى تأليف الكتاب على نحو أولي.

---

[1] انظر عن تلك المكانة العالية لابن بشكوال :ابن الأبار محمد بن عبدا الله (ت658هـ/1259م)، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص248/ الذهبي محمد بن أحمد (ت748هـ -1347م)، سير أعلام النبلاء(24 جزءاً) ، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1984م، ج 21، ص139/ الصفدي، الوافي بالوفيات (29 جزءاً)، المصدر السابق،ج 13، ص229.

[2]ابن الفرضي عبد الله بن محمد الأردي (ت 403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص 69.

[3]وهي توافق وفاة آخر التراجم المذكورة زمنياً في كتابه، ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص334 رقم الترجمة (757). 7. ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج1،ص392.

[4] ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج1،ص392.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص23.

[6]المصدر نفسه، ج1، ص23، انظر في المنهج الذي اتبعه ابن الفرضي في ترتيب تراجم كتابه: يوسف بني ياسين، علم التاريخ في الأندلس، حمادة للدراسات الجامعية - إربد، 2002م: ص329-332.

[7]المصدر نفسه، ج1، ص23، وانظر المنهج الذي اتبعه ابن بشكوال في ترتيب تراجم كتابه: يوسف بني ياسين وعصام عقله، منهج الحافظ ابن بشكوال في ترتيب كتاب الصلة، بحث منشور في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 4،العدد 2، 2010م، ،ص1-25.

[8] المصدر السابق، ج1،ص23.

[9] المصدر نفسه، ج1،ص136، بني ياسين وعقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال، ص8.

تأسيساً على هذه البداية التي انطلق منها ابن بشكـوال في تأليف كتابــه، لم يقْدِم على إيراد أحد من العلماء الذين ورد ذكـــرهم في كتـــاب ابن الفرضي، ولا تعقب عليه في إغفاله ذكـــر بعض العلماء الواقعين ضمن فترته أيضاً، فلم يأت ذكـــر ابن الفرضي وكتابه، في كتاب الصلة إلا مرات قليلة، وذلك انسجاماً مع ما التزم به في المقدمة، من عدم العودة لتناول أحد علماء المرحلة الزمانية التي اختص بها الأصل.

لا بد من القول، إنه بمقدار ما يمثل هذا التوقف اعترافاً من ابن بشكـــوال بمكـــانة الأصل وثقته بمؤلفه، إلا أنه حرمنا كما يبدو من أخبار جديدة غير معروفة، عن أولئك العلماء الذين ترجم لهم ابن الفرضي، وبلغ الأمر أن كثيـــراً من أولئك العلماء، لا نجد لهم إلا هذه الترجمة الوحيدة، التي صيغت على شكلها الأول في الأصل، وبقيت كمـــا هي تنتقل وتتردد في بعض المصادر اللاحقة، ولم يدخل عليها أي إضافة أو تعديل ولو قدر أن تمت مراجعتها من قبل الصلات اللاحقة، لجاءت على الأرجح بصورة أخرى تُضيف إلينا معلومات جديدة، تُغني معرفتنا بحياة أولئك العلماء، الذين شكلوا بأعمالهم وسيرهم القاعدة الثقافية الأولى في الأندلس.

أنهى ابن بشكوال تأليف كتابه بصورته الأولى، دون إغلاق نهائي له، وبقي يجري عليه زيادات وإضافات جديدة لتراجم علماء جدد، ولكل من استيقن أنه لا بد من إضافته إلى النص الأول، وجاءت ضمن سياقها الطبيعي من حيث الترتيب العام للكتـــاب، أو جاءت خارج الكتاب، كما فعل عندما صنع ملحقاً، وضمه إلى آخر الكتاب، ووضع فيه العديد من تراجم العلماء الأندلسيين، الذين وقعت وفاتهم في أثناء حياته فيما بعد سنة (534هـ)،[1] الأمر الذي أنشأ تبايناً في طبيعة النسخ المتوافرة من كتاب الصلة بين أيدي الناس في الأندلس، حسب حالات الإضافة، ووقت إضافتها.

[1] بني ياسين وعقلة، منهج الحافظ ابن بشكوال، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، تعقبات ابن الأبار في كتاب التكملة لكتاب الصلة على ابن بشكوال في كتاب الصلة، المجلد07، العدد03، 2012م، ص35.

لاقى الكتابان احتفاء كبيراً وتقديراً عالياً في الدوائر الثقافية الأندلسية، سواء في عمل الإضافات أو التعليقات عليهما، أو في الجمع بينهما، فعمل محمد بن أحمد القرطبي (ت450هـ/1058م) "تعليقاً على تاريخ ابن الفرضي واستلحاقاً"،[1] وألف عبد الله بن قاسم اللخمي (ت646هـ/1248م) كتاباً سماه "المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي" مع زيادة على ذلك[2].

جرى على صلة ابن بشكوال، ما جرى على تاريخ ابن الفرضي، من عمل الصلات، ولعل أشهرها ما صنعه ابن الأبار في كتابه التكملة، ولكنه لم يكن البادئ، بل سبقه إلى فعل ذلك، العديد من علماء الأندلس، فألف محمد بن عبد الله التجيبي (ت558هـ/1164م ) "مجموعاً في رجال الأندلس، وصل به كتاب ابن بشكوال"، [3] ثم ألف محمد بن عبد الله القنطري (ت561هـ/1167م) " زيادة على ابن بشكوال في تاريخه"، استفاد منها ابن الأبار في تكملته[4]، كما افاد مع كثير من التحفظ، من تأليف يوسف بن عبد الله المعروف بابن عياد (ت 598هـ/ 1200م) في تذييله على كتاب ابن بشكوال وذكر أنه قد " قيد في ذلك، ما عثرت على كثير منه بخطه أو منقول عنه فنسبته إليه، وتحفظت جهدي من وهم يصحبه أو اضطراب"[5]، وربما أدى هذا الاضطراب وعدم الاستيفاء في مجموع هذه المحاولات بابن الأبار، إلى الشروع في جمع المواد العلمية التي تدفع الوهم والاضطراب، وتستكمل النقص في تراجم العلماء عدا من تم إغفاله كذلك منهم، فأصبح لديه مادة علمية وفيرة، دفعته إلى التفكير في تأليف كتابه، وقد وضح في كتابه - كما سيتبين لاحقاً - مدى تهممه بالتصويب و الاستكمال للمؤلفات السابقة.

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص390.
[2] المصدر نفسه، ج2،ص298.
[3] المصدر نفسه، ج 2،ص25.
[4] المصدر نفسه، ج2،ص29.
[5] المصدر نفسه، ج4، ص211-212.

**ثانيا2- ابن الأبار وكتابه التكملة: أ- ابن الأبار:**

عاش ابن الأبار فترة اتسمت بالقلق والاضطراب السياسي في ظل الدولة الموحدية إذ تولى الحكم بها في أخريات عهدها، مجموعة من الحكـــام الضعاف، أضعفوا الدولة بنزاعاتهم الداخلية، وفقدوا الحكم في الأندلس، إما لمصلحة الحكـــــــام المحليين، أو لمصلحة ملوك وأمراء الممالك المسيحية فيها[1]؛ إذ ولد محمد بن عبد الله بن أبي بكـــر القضاعي في مدينة بلنسية سنة (595هـــ/1197م)[2] ، متزامناً مع هذه الفترة، في بيت علم ودين، حيث اشتهر والده (ت619هـــــــ/1222م) بحفظه للقرآن، ومعرفة عالية بالقراءات والأدب، مع كثيـــر من الانقباض عن الناس وعدم الاختلاط بهم[3]، سوى ما ذكرته المصادر من صحبته الوثيقة بالشيخ العالم أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت634هـــ/1236م)[4] حتى غدا عاملاً لديه، و"متصرفاً عنه في الوكـــالة" [5]، مما ولد تأثراً كبيـــــراً وتتلمذاً مباشراً، من الطفل محمد على يد الشيخ أبي الربيع، فقد صحبه وتعلم منه، لمدة تزيد على العشرين عاماً[6]، كـــــون الشيخ "إماماً في صناعة الحديث بصيراً به، حافظاً حافلاً، عارفاً بالجرح والتعديل، ذاكـراً للمواليد والوفيات، يتقدم أهل زمانه في ذلك، وفي حفظ أسماء الرجال، خصوصاً من تأخر زمانه وعاصره"[7] علاوة على مكتبته التي مثلت مرتاداً ميسراً لقراءات محمد، فهي كما وصفها، عامرة " بالأصول العتيقة والدواوين النفيسة، التي تقيدت فيها أسمعة الأئمة الإعلام، إلى غير

[1] الأنصاري محمد سعيد، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الغرب الإسلامي،ط 1،بيروت، 1992م، ص31-45

[2] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج 2، ص291.

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص291.

[4] انظر ترجمة في: النباهي علي بن عبد الله(ت793هـ/1228م)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الأفاق، بيروت، 1980م، ص 119؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 3،ص357، الذهبي، سير أعلام النبلاء (24 جزءا)، ج23، ص134.

[5] المراكشي محمد بن عبد الملك (ت703هـ/1301م)، الذيل والتكملة (خمسة أجزاء)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م، ج4، ص179.

[6] المصدر نفسه، ج6، ص253.

[7] ابن الأبار، التكملة، المصدر نفسه، ج4، ص103 .

ذلك من الفهارس والبرنامجيات الجمة الإفادة"،وقد صارت إليه عقب وفاة شيخه الكلاعي[1].

لم يقتصر طلب العلم لديه على هذين الشيخين في مدينة بلنسية، بل تعداهما إلى كثير من علماء الأندلس، فغدت سيرته في الطلب والتتلمذ، حافلة بالسماع من الشيوخ[2] الذين زودوه بمعارف متنوعة، حتى بات "بصيراً بالرجال، عارفاً بالتاريخ، إماماً في العربية، فقيهاً، مقرئاً، إخبارياً، فصيحاً، له يد في البلاغة والإنشاء في النظم والنثر كامل الرياسة، ذا جلالة وأبهة"[3].

بدأ ابن الأبار بهذه اليد العالية، في المعارف الفقهية الواسعة، وفي إتقان الإنشاء والبلاغة في العربية، يتسنم الوظائف العالية التي تتلاءم وتلك المؤهلات، فشغل مهمة الكتـــابة لولاة مدينة بلنسية وولاة مدينة اشبيلية الموحدين، فيما بين سنتي (616-626 هـــ/1219-1228م)[4]، ثم استقر به المقام في كنـــف زيان بن أبي الحملات من بني مردنيش ( 626-636هـ/ 1228 - 1238 م) في بلنسية، بعد استيلائه عليها، فعمل لديه كاتباً، ثم قاضياً في مدينة دانية، ثم سفيراً منه إلى أمراء تونس الحفصيين.[5]

هجر ابن الأبار الأندلس نهائياً إلى غير رجعة، بعد تمكن الملك خايمة الأول Jaime I (ملك أراجون)، من الاستيلاء على مدينته بلنسية سنة (636هـ/1238م)[6]، فتوجه إلى تونس؛ حيث أقام بقية حياته مقرباً تارة، في كنـف حكـام تونس الحفصيين، ومنفياً مبعداً تارة أخرى منهم في مدينة بجاية، حتى قتل في تونس على يد أميرها المستنصر الحفصي سنة (658هـ/1260م).[7]

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج4، ص103.
[2] انظر جانباً من أسمائهم الذين أحصاهم المراكشي في، الذيل والتكملة، ج6، ص253 ـ وما بعدها.
[3] الصفدي، الوافي، المصدر السابق، ج3،،ص356، انظر: الكتبي محمد بن شاكر(ت 764هـ/1345م)، فوات الوفيات (5 أجزاء)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3،ص404.
[4] المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المرجع السابق، ص 37.
[5] المرجع نفسه، ص 37.
[6] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ط1، تحقيق/ حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ص127،
[7] انظر لتفاصيل حياته في تونس وبجاية: الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص311-312،

**المبحث الثاني : موضوعاته**

**أ- كتاب التكملة لكتاب الصلة:**

تعددت موضوعات المصنفات التي تركها ابن الأبار، فجاءت في التاريخ، والحديث والأدب، وأثنى عليها المراكشي بقوله قد " برز في إجادتها، وأعجز عن الوفاء بشكر إفادتها"، وعد منها 35 عنوانا، مع قوله أنها "تنيف على خمسين مصنفاً"[1]، لعل أبرزها كتابه الذي أكمل به كتاب الصلة لابن بشكوال، وسماه "التكملة لكتاب الصلة".[2]

نص ابن الأبار على أن اسم كتابه "التكملة لكتاب الصلة"، على عكس ابن بشكوال الذي أغفل ذلك مع أن اسم الصلة ذاع في حياته[3]، ولا بد من التساؤل عن سبب اختياره لكلمة "التكملة" في العنوان ألم يكن بإمكانه النهج على طريق ابن بشكوال في استخدامه كلمة الصلة، لوصل كتاب ابن الفرضي، أو كصنيع ابن الزبير(ت707هـ/1308م) لاحقاً، حينما ألف "صلة الصلة"[4]، واصلاً به كتاب الصلة لابن بشكوال، أم أن لكلمة "التكملة" التي اختارها ابن الأبار عنواناً لكتابه دلالات ومفاهيم أخرى غير الوصل والمتابعة، في تقييد تراجم علماء الأندلس من حيث انتهى ذلك الأصل.

يتبدى لي من قراءة مقدمة كتاب التكملة، أن العمل الذي ينتويه ابن الأبار، لم يكن صلة بمعنى الإضافة والمتابعة، من حيث انتهى الأصل وحسب، وإنما هو كما أرى إعادة نظر وتصويب وإكمال للأصل من حيث بدأ، لا من حيث انتهى، بما في ذلك الأصل من ثغرات وهنات داخلية، إذن هو يريد العودة لمراجعة هذا الأصل، ووضع استكمال وتصويب للهنات والثغرات الواردة فيه، ولذا فقد قال وهو يصف منهج عمله من حيث الزمان المنشود بالتأليف، إنني " لم اقتصر به على الابتداء من حيث انتهى ابن بشكوال، بل تجاوزته وابن الفرضي، أتولى التقصي وتوخي الإكمال (التكملة)

[1] المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المصدر السابق، ج6، ط1، ص658-659.
[2] المصدر نفسه، ج6، ص659، الصفدي، الوافي، المصدر السابق، ج3، ص356.
[3] المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المرجع السابق، ص37.
[4] ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن الزبير (ت707هـ/1308م)، صلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، 1937م، ص36.

**وربما أعدت من تحيفا ذكــــره، ولم يتعرفا أمره"**[1] فهي عودة للتدقيق من جديد بالفترة الزمنية التي كتب عنها ابن الفرضي وابن بشكوال، بهذا الفهم الجديد للتكملة التي تعني المراجعة، بغية استكمال نواقصهما، وهذا ما قام به عملياً في مادة كتاب التكملة.

أما عن دوافعه في تأليف الكتاب، فيبدو أن التوافق بين الدافع الذاتي والخارجي، كان مسؤولاً عن ذلك، فالدافع الذاتي تبلور لديه نتيجة تكوينه الثقافي العميق، واطلاعه على العديد من كتب التراجم لعلماء الأندلس، المحسن منها والمقصر، وإدراكه مدى أهميتها في إبقاء ذكـر المؤلف خالداً في الأذهان، عدا عن تخليد ذكـر المترجم لهم، وهذا ما بدا بوضوح حين وصف عمل ابن بشكـــوال، قائلاً "وأتفق أن **خُلّد**، حتى هيل على أترابه التراب، وخبأتهم في حقائبها الأحقاب، فانتظمهم حسابه وشملهم كتابـــه" [2]، فكـــان ذلك سبباً في "انبعاثي لهذا التقييد"[3]، منبئاً بذلك عن ولادة عالم فذ تمكن من تأليف هذه الموسوعة الأندلسية الشاملة.

أما الدافع الخارجي، فتمثل في شيخه الكلاعي، الأكثر تأثيراً في شخصيته، فهو الذي لما "عرف غرضي على هذا التأليف، حضني عليه وندبني إليه، وأمدني من تقييداته الصحاح، وحكــــــاياته المستظرفة بما شحنته فوائد"[4]، ولذلك لم يبخل ابن الأبار عليه حينما عده "السبب في جمعه ( التكملة)، والداعي إلى تصنيفه، والمنهض إليه والمنجد عليه، بما حوته خزانة كتبـة" [5] توصيفاً لهذا الدور الايجابي الذي قام به الشيخ في الحض والندب والتشجيع في تأليف الكتاب.

كمـــا أن التأليف وتدوين سير علماء بلده، يمثل بالنسبة إليه تجسيداً عملياً على محبة

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص6.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص5.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص6.
[4] المصدر نفسه، ج4، ص102.
[5] المصدر نفسه، ج4، ص103.

وطنه الأندلس، الذي شهر به وعرف عنه، وأداه ذلك- حسب رأي المراكشـــــي- إلى احتساب بعض العلماء الغرباء الواردين إلى الأندلس من غيرها، من ضمن علمائها "إفراطا في التعصب (للأندلس) الذي كـان الغالب عليه، حتى غلا فيه"[1]، فعمد إلى التعبير عن محبة وطنه الأندلس من خلال تقييد أسماء علمائه الذين نبغوا فيه بالرغم من الظروف السياسية القاسية التي تحياها بلاده، في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، فهب يؤلف كتابـه حسبما ذكـر " امتعاضاً للجزيرة، وارتماضاً من كـــوائنها المبيره، ليعلم أنها ما أَفِلَتْ أهلتها... ولا هوت نجومها"، فهي ما زالت عامره بالعلماء، "مع غربة الإسلام فيها، وعجز قومها عن تلافيها، فالعلوم ما صرمت علْقُها ولا عدمت بالجملة حلقها" [2].

شرع ابن الأبار في تأليف كتابه سنة (631هـ/1233م)[3]، وهو يعمل آنذاك في بلاط بلنسية كـاتباً، وعلى تواصل وثيق مع شيخه الكـلاعي، الذي رعى المشروع وأشرف عليه في بواكير انطلاقته، ووفر له أصولاً ومقتنيات من مكتبته، ولكن محمداً ما إن بدأ في التأليف، حتى أدرك صعوبة عمله، ففزع إلى شيخه طالباً الإقالة، "وكنـت قد أفهمته أول اشتغالي به عجزي عنه، وسألته إعفائي منه، ورغبت إليه في أن يتولاه... فأبى من إعفائي "[4]، فعاود يتابع العمل من جديد، وما إن أنجز بعضاً من التكملة، حتى سارع إلى عرض ما تم انجازه منها على أستاذه، فلاقت الاستحسان بل و"أطال العجب من احتشادي فيها"[5].

يشي هذا التردد الواضح من ابن الأبار في إتمام المهمة التي تصدى لها، بالروح العلمية القلقة التي تكتنف جنبات شخصيته، وهي الروح الساعية إلى بلوغ الكمـال، أو

---

[1] المراكشي، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج1، ص11.
[2] ابن الأبار، التكملة، المصدر نفسه، ج1، ص6.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص6.
[4] المصدرنفسه، ج4، ص102.
[5] المصدر نفسه، ج4، ص103.

ما يشبه الكمال في عملها، فقد كان مشهوراً كما ذكر المراكشي "بتيقظه وتحفظه، من متعلقات النقد وأسبابه"[1]، ومما يعزز هذا التحفظ والخشية من النقد والمراجعة، طول تأنيه في تأليف كتابه، لإخراجه خالياً من كل خلل محتمل، فسهر واجتهد، وقال إني "عنيت بهذا التصنيف أتم عناية، وبلغت به من التصحيح أقصى نهاية"[2]، حتى يئس العارفون بالمشروع من إمكانية خروجه إلى النور، فـ" كثرت مشافهة الإخوان... وجعلوا يخصون باللوم تلومي في هذه الفترة، ويحضون على إتمام المرام قبل قواطع الكبره... فلما استوفى عشرين حولاً أبرزته بعد طول الحجاب"[3].

كذلك يمكن تأكيد خيفة أخرى لدى ابن الأبار، ساهمت في إطالة مدة عمله، تبدت في ثنايا الكتاب وتمثلت بما صنعه هو مع من سبقه من المؤلفين،حينما استدرك عليهم وعقب على أعمالهم بالتصحيح والتجويد والتتميم، فكان يخشى من أن يقوم أحد يأتي بعده، بالاستدراك والتجويد لعمله وقد نص على ذلك بوضوح، حينما ترجم في كتابه لعبدالله بن محمد المطماطي، وهو غير أندلسي وهو الذي قصره على الأندلسيين فقال: "وإنما ذكرته في هذا الباب، لئلا يقع لمن لا يتأمل حاله فيتسرع إلى **استدراكه علي**، بكونه أندلسياً"[4] وسيبين ذلك لاحقاً على نحو أكبر، عندما نبه إلى ما تشابه من معلومات بينه وبين كتاب الصلة، لئلا يتهمه أحد بالخلط وعدم الدقة والإعادة بغير وجه.

اتسمت شخصية ابن الأبار بالصراحة والجرأة، فكما أن هذه الصراحة لم تتوار في حياته العملية، [5] فهي كذلك قد ظهرت بوضوح في متن الكتاب، اعتزازاً بعمله من ناحية؛ إذ كثرت لديه عبارات التصويب لعمله، بقوله "والصواب ما بينت"[6]، والتخطئة

---

[1] المراكشي، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج1، ص11.
[2] ابن الأبار، التكملة، المصدر نفسه، ج1، ص6.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص6.
[4] المصدر نفسه، ج2، ص229.
[5] أجمعت مصادر ترجمته على حدة طباعه وقد دفع حياته في تونس ثمناً لذلك.
[6] ابن الأبار،التكملة، المصدر السابق، ج1،ص185،ج3، ص176، ص 179، ص245، ج4، ص43.

لأعمال الآخرين من ناحية أخرى، فيمكن القول بكثيــر من الاطمئنان، إن أحداً لم يسلم من مصادره من عبارات التخطئة والاستدراك، فأعاد كثيـــراً من تراجم كتـــاب ابن الفرضي، معللاً ذلك بقوله: "وقد أعدت ذكـره في هذا الكتـاب، لزيادة عليه"[1] أو أعاده لغاية رفع الاشتباه الذي وقع فيه ابن الفرضي[2]، أو بسبب الإغفال التام من قبله[3]، وكـذا فعل مع مصادره الأخرى، فاستدرك على القاضي عياض، صاحب كتـــــاب ترتيب المدارك[4]، عندما اعتمد عليه في بعض المواطن، معلقاً عليه بقوله "لم يستوف خبره" مثلاً[5]، وكـذا صنع مع الحميدي صاحب جذوة المقتبس[6]، فقد علق على ما ذكـر، بقوله "ذكره وغلط فيه"[7]، وكـان هذا دأبه مع كثير ممن سبقه من المصادر التي اعتمد عليها بالإكثار من استخدام كلمة "وغلط فيه"[8].

وللإنصاف، فإن هذه الجرأة العلمية والصراحة " التي تحلى بهما مقتصرة تجاه الآخرين وحسب وإنما وجدناها نهجاً طبقه على حاله هو، فلم يتحرج بهذا الخصوص من الاعتراف بالتقصير أو عدم المعرفة التي تلحق به، بقوله: "لا أعرفه"[9]، أو "لا أعرف موضعه"[10]، أو "لا أدري [11]، و كذا قوله في حالة عدم التيقن ، أحسب ... وفيما أحسب "[12] ، وفيه عندي نظر "[13] أو حينما عجز عن إتمام المعلومات المتعلقة بمن

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص77، ج2، ص82، ج4، ص 105.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص14، ص 287، ج3، ص173، ج4، ص106.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص176، 177، 261، 285، 290،ج2، ص217، ج3، ص146، ج4، ص151.
[4] عياض بن موسى بن عياض (ت544هـ/ 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك إلى معرفة أعيان مذهب الأمام مالك،تحقيق/ أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت،1967م.
[5] ابن الأبار،التكملة، المصدر نفسه، ج3، ص12، ج1، ص31، ج4، ص154.
[6] الحميدي محمد بن فتوح (ت 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1952م، ص 147.
[7] ابن الأبار،التكملة، المصدر نفسه، ج1، ص226، ج3، ص68.
[8] ، ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص24، 54، 63، 73، 132، 226، 304، 310، 309،ج2، ص8.
[9] المصدر نفسه، ج 2، ص3 ، 98 ، 182، 157،ج3، ص71، 75، 616، ج4، ص59، 78، 80.
[10] المصدر نفسه، ج3، ص31، 51، 52، 136، 153، ج4، ص4، 50.
[11] المصدر نفسه، ج2، ص 257، 263، ج3، ص116، 192، ج4، ص129.
[12] المصدر نفسه، ج3، ص57، 70، 71، 141، ج4، ص32، 91.
[13] المصدر نفسه، ج1،ص260، 309، ج2، ص160، ج3، ص77، 110، 168، ج4، ص38، 79، 88، 164.

يترجم له ، فيقول " لم أقف على تاريخ وفاته ..." أو لم أقف على أسماء شيوخه "[1] وقد بلغ بهذا رتبة عالية في موضوعية و الإنصاف و إتباع الحق سواء مع نفسه أو مع الآخرين .

**ب- نظرة ابن الأبار إلى ابن بشكوال وكتابه الصلة:**

حفلت التكملة بمشاعر الإجلال والتقدير تجاه ابن بشكـــــوال، فهو برأيه يمثل "بقية المسندين بقرطبة، والمسَلَم له في حفظ أخبارها، ومعرفة رجالها مقدماً على أهل وقته... حافظاً، حافلاً إخبارياً، ممتعاً ، تاريخياً ، مقيداً ، حاشداً ، مكثرا "[2]، وكذا كانت نظرته لكتاب الصلة، فهي أجلّ ما ألف ابن بشكوال، فقد "أعاد بها من كان فانياً، وأعار الأندلس وأهلها عمراً ثانياً"[3]، و"سلم له أكفـــاؤه فيه، ولم ينازعه أهل صناعته الانفراد به، ولا أنكـــروا مزية السبق إليه، بل تشوفوا للوقوف عليه... اتسعت فائدته، وعظمت منفعته، وهو كتاب في فنه خطير القيمة ضروري الاستعمال، لا يستغني أهل الفقه عن التبلغ به، والنظر فيه، والاحتجاج منه"[4] وأبى ابن بشكوال فيه، برأي ابن الأبار "إلا أن يوعب ليتعب من بعده، وينجز في الاستغراق والاستلحاق بعده"[5].

**المبحث الثالث: دراسة إحصائية لترجمة الكتاب**

**أولا: تعقبات ابن الأبار على الصلة ( طبيعتها وأسبابها)**

لم يمنع هذا المديح والثناء ابن الأبار، من ذكـر هنات كتـاب الصلة، كمـا فعل مع غيره من الكتـب فإن كـان ابن بشكـوال قد احتفل وأكثـر، في ذكـر علماء الأندلس في كتابه، إلا أنه برأي ابن الأبار أغفل بعضهم الآخر "وأسأر مع أنه أكثر؛ إذ الإحاطة لله وحده"[6]، وأكـد أن هذه الهنات قليلة، "وقد **نبهت** على أكثـرها في كتـابي هذا"[7]، ولكن

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ج2، ص73،ج3، ص 21، 43.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص248.
[3] المصدرنفسه ، ج1، ص5.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص248.
[5] المصدر نفسه، ج1، ص5.
[6] المصدر نفسه، ج1، ص5.
[7] المصدر نفسه، ج1، ص249.

القراءة المتأنية لطبيعة تعامل ابن الأبار مع تلك "الهنات" تدل على أنه أكثـر من التنبيه إليها، فقد استخدم واصفاً تعامله معها كلمـــــــــــات (الاستدراك، والتتميم والتجويد)، فيما(أغفل، ونقص، واقتضب)[1].

لم يبتدئ ابن الأبار كتابـــــــه، بتدوين سير وحياة علماء الأندلس من بداية المرحلة الزمنية التالية لعمل ابن بشكـــوال، على غرار ما فعل ابن بشكـــوال مع كتـــاب ابن الفرضي – مثلاً -، بل أشار إلى أنه لم يقتصر به "على الابتداء من حيث انتهى ابن بشكـوال" [2]، بل عاد إلى بداية الإسلام في الأندلس، على شرط أن لا يعيد ذكـر "جملة مما ذكـر هناك"[3] من أسماء وتراجم العلماء الواردين في الكتـابين متخذاً كمـا ذكـر من منهج ابن بشكوال مع كتاب ابن الفرضي نموذجاً له[4]، وشتان بين المنهجين المتبعين.

لقد التزم ابن بشكـــوال بشرطه، من حيث التزامه في عدم العودة للفترة السابقة عليه فهي زمنياً من اختصاص كتاب ابن الفرضي، فلم يرجع إليها لمراجعتها بغية استكمالها أو التعقب عليه بها بحيث لا تعدو الحالات التي أعاد ابن بشكـــوال ذكـــر كتـــاب ابن الفرضي في كتابـــه الصلة، العشر حالات، بينما بلغ عدد الحالات المعادة، التي ذكـرها ابن الأبار في كتابـــه التكملة، وهي من اختصاص الفترة الزمنية لكتـــاب ابن بشكـــوال الصلة، وعدها ابن الأبار أخطاء وهنات له (161) حالة[5]، مبرراً ذلك بأنه أراد في كتابـــه التكملة، التقصي وتوخي الإكمـــال[6]، بل إنه نظر إلى عمله هذا من باب الوفاء للعلم، ولابن بشكوال "وأنا وفيت ما اقتضاه الوفاء"[7].

يمكن القول، بعد استخراج وجمع وتصنيف ودراسة مجموع هذه التعقبات

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ج 1، ص249.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص6.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص249.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص249.
[5] المصدر نفسه، ج1، ص18، 19، 20، 21،
[6] المصدر نفسه، ج1، ص6.
[7] المصدر نفسه، ج1، ص5.

والاستدراكـات والتعليقات، التي أجراها ابن الأبار في كتابـه التكملة على كتـاب الصلة لابن بشكـــوال، إنها عائدة إلى جملة من الأسباب والمبررات، صنفتها بعد التدقيق بها، حسب الآتي:

**أولاً: عدم إتقان ابن بشكوال تنظيم المادة العلمية(التراجم) في كتابه:**

لم يغلق ابن بشكـوال تأليف كتابـه الصلة، كمـا ذكـرنا سابقاً، حينما أنهى تأليفه أول مرة سنة (534هـــــ/ 1139 م)، وإنما بقي يضيف إليه تراجم جديدة حتى قبيل وفاته سنة (578هـــ/1183م)، وهي فترة طويلة نسبياً (34 سنة)، تتسع لكثيــر من العلماء الجدد الذين يستحقون أن يكـــــــونوا ضمن علماء الصلة، وقد أضاف بعضهم، وولدت هذه الإضافات تبايناً واختلافاً في عدد وتنظيم تراجم النسخ الخطية، من كتاب الصلة، حسب أقدمية انجازها وإغلاقها، ومقدار ما تحويه من تراجم العلماء بين زيادة ونقصان، لذلك وجدنا بعد المقارنة، أن ابن الأبار قد أعاد ذكـــر العديد من تراجم العلماء في كتابــــه التكملة، الواردة أصلاً في كتــــاب الصلة، وذلك جراء عدم وجودها في نسخته التي اعتمدها حينما ألف كتابه التكملة.

اطلع ابن الأبار على نسخ عديدة من كتــــاب الصلة في الأندلس، بعضها في مدينة بلنسية، وربما في مكتبـة شيخه الكــلاعي، وبعضها الآخر في مدينة قرطبة[1]، كمــا أنه اطلع على نسخ أخرى أوفى وأتم في مدينة تونس[2].

اتخذ ابن الأبار من نسخ الصلة الأندلسية أصلاً اعتمده، فما ورد بها من أسماء العلماء الأندلسيين ترك ذكره في كتابه ولم يقم بإعادة ذكره مرة أخرى، وما لم يرد في النسخ الأندلسية أعاد ذكره في كتاب التكملة مرة أخرى، فقد ورد ذكر عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي في النسخة التونسية من كتـاب الصلة، ولم يرد له ذكـر في النسخ الأندلسية التي اطلع عليها ابن الأبار في الأندلس، فأعاد ابن الأبار ذكـــــره

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ج4، ص43 (127).
[2] المصدر نفسه، ج2، ص238 (672).

وكـــــأنه لم يرد في الصلة، وعلق قائلاً "ولم أجد اسمه فيما وقفت عليه بالأندلس... من نسخ الصلة لابن بشكـوال، وأرانيه بعض أصحابنا بمدينة تونس من نسخته" [1]، ويتحتم عليه، حسبما اشترط على نفسه في المقدمة من عدم التكرار في ذكر التراجم المذكورة في الصلة[2] بعد رؤيته تلك الترجمة عياناً واردة في نسخة من كتـــاب الصلة في تونس عدم ذكرها مرة أخرى في التكملة، إلا أننا نجد أنه أبقاها فيه، وهي كـذلك في المطبوع من كتاب الصلة [3]، باختلاف يسير، كما هو وارد في الجدول تالياً:

| **التكملة: ج2، ص238-239** | **الصلة:ج2، ص400- 401** |
| --- | --- |
| 672- عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، **وهو والد أبي الوليد بن زيدون،** صحب أبا محمد **عبدا الله بن إبراهيم** الأصيلي، وسمع منه واختص به **وسكن معه بربض الرصافة بجوفي قرطبة،** وسمع أيضاً من عبد الوارث بن سفيان وغيره. وكان **أحد وجوه أصحاب ابن ذكوان، وشيع الخليفة سليمان، متفنناً في ضروب العلم جم الرواية،** من أهل النباهة والجلالة والمعرفة باللغة والآداب، وشوور | 580- عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، صحب أبا محمد الأصيلي واختص به، وسمع أيضاً من عبد الوارث بن سفيان وغيره، وكان من أهل النباهة والجلالة والمعرفة باللغة والآداب، وشوور بقرطبة، وتوفي بالبيرة سنة خمس وأربعمائة، وسيق إلى قرطبة، فدفن بها رحمه الله **يوم الاثنين** لست خلون من ربيع الآخر من العام المؤرخ، وكان مولده سنة أربع وخمسين وثلثمائة، **وكان يخضب بالسواد.** |

[1] ، ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص239 (672).
[2] ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج1، ص249.
[3] المصدر نفسه، ج2، ص400 (580).

| | |
|---|---|
| بقرطبة، وتوفي بالبيرة **في توجهه إليها لتفقد ضيعة كانت له بها،** وسيق إلى قرطبة،فدفن<br>بها لست خلون من ربيع الآخر سنة 405 ومولده سنة 354.<br>**ولم أجد اسمه فيما وقفت عليه بالأندلس وغيرهما (وغيرها) من نسخ الصلة لابن بشكـــــــوال، وأرانيه بعض أصحابنا بمدينة تونس من نسخته** | |

تكررت الحالة معه أيضاً في ترجمة هذيل بن محمد بن تاجيت البكري، فقال بعد أن أثبتها في التكملة " أفادنيه بعض أصحابنا، ونسب ذلك إلى ابن بشكـــــوال، ولم يقع في الصلة"[1]، يعني في نسخه الأندلسية التي بين يديه، فأبقاها ابن الأبار في التكملة، بالرغم مما قيل له عن وجودها في الصلة، على عكس ما اشترط على نفسه، وبالعودة إلى مطبوع الصلة[2]، نجد أنها واردة فيه بنصها.

لم يتعامل ابن الأبار فيما يظهر مع الملحق الذي صنعه ابن بشكوال في نهاية كتاب الصلة بعده جزءاً من متن الكتـــــاب، بل عده خارجاً عنه، وكـــــأنه لم يكن أصيلاً منه فبالرغم من أنه اطلع عليه واعتمد محتوياته، إلا أنه أعاد في التكملة ذكـــــر بعض من ورد فيه، ففي ترجمة أحمد بن طاهر بن علي الأنصاري، نص على أن ابن بشكـــــوال ذكره في ملحقاته، فقال: "ذكره ابن بشكوال في ملحقاته وزياداته، التي ذيل بها كتابه بعد الفراغ منه"[3]، وأعاد ذكره في التكملة، على عكس ما اشترط على نفسه، وهي الآن واردة في المطبوع من كتاب ابن بشكوال، في مكانها الطبيعي من الترتيب العام في

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج4، ص147 رقم الترجمة (426).
[2] ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج3، ص948 رقم الترجمة (1459).
[3] ابن الأبار، التكملة، المصدر نفسه، ج1، ص43-44 رقم الترجمة (128) وقارن بالصلة: ج1، ص130 -131 رقم الترجمة ( 168).

متن الكتاب، أو في الملحق في نهاية الكتاب[1].

**ثانياً: عدم إحاطة الصلة بذكر علماء الأندلس ضمن فترته "الإغفال الكلي":**

ذكر ابن الأبار في كتاب التكملة العديد من التراجم التي أغفلها ابن بشكوال، وهي تقع زمنياً ضمن فترة كتابه الصلة، وكان ينبغي عليه ذكرها؛ لأنها حسب رأي ابن الأبار "من شرطه"[2]، ولكنه غفل عنها أو تغافل، فأقدم ابن الأبار على الترجمة لها معلقاً عليها بقوله "أغفله ابن بشكوال"[3].

التمس ابن الأبار العذر في عدم الإحاطة لابن بشكوال، في مقدمة كتابه التكملة، حين نبه إلى إغفاله لبعض الأسماء، بكون "الإحاطة الله وحده "[4]، ممهداً ومقدماً بذلك العذر لنفسه؛ لأن "النسيان موكل بالإنسان، والسهو لا تدخل البراءة منه تحت الضمان"[5] ولكن هل يكفي هذا العذر في الإغفال، أم أن القصد والإرادة قد لعبا دوراً في ذلك، من قبل ابن بشكوال.

إن للسهو والنسيان عند ابن بشكوال، دعائم عديدة مؤيدة، ابتداء من كونه لم يكن مسكوناً بمهمة الاستقصاء التام لعلماء الأندلس، ضمن الفترة التي تصدى لها، بدليل إغفاله العديد من تراجم العلماء فيها كما بين ابن الأبار، كما أن ابن بشكوال لم يحسن ترتيب المادة العلمية (التراجم) التي توافرت لديه في كتابه بين تقديم وتأخير[6]، مما أدى به إلى إدخال تعديلات كثيرة على تلك المادة، بل إنه عمل ملحقاً للمادة الجديدة، وضعه

---

1ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج 1، ص302 رقم الترجمة (1053) وقارن: بالصلة: ج2، ص711 رقم الترجمة (1056)، وكذلك: التكملة، ج4، ص112 رقم الترجمة (312) وقارن: بالصلة: ج3، ص1000 (في الملحق). وكذلك: التكملة، ج4، ص253-254 رقم الترجمة (704) وقارن: بالصلة: ج4، ص996 رقم الترجمة (1553).

2 ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج4، ص88 (259).

3 المصدر نفسه، ج1، ص40-41 (120)، ج1، ص194 (634)؛ ج1، ص207 (680)، ج1، ص207 (681)، ج1، ص226 (752).

4 المصدر السابق، ج1، ص5.

5 المصدر نفسه، ج1، ص6.

6 المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المرجع السابق، ص 45.

في نهاية الكتـــاب، وهذا الإغفال الذي وقع فيه، كمـــا أعتقد، يتوافق مع شخصيته التي وصفت" بصلاح الدخلة، وسلامة الباطن، وصحة التواضع"[1]، وهذا ما يفسر إغفاله الترجمة حتى لبعض أصحابه المقربين منه[2]، أو إغفاله لآخرين، أورد ذكـــــــرهم في مصنفاته الأخرى فأعاد ابن الأبار ذكرهم، معلقاً على ذلك بقوله "ذكره في غير الصلة وأغفله"[3]، في الصلة، ككتابـــه "المستعيذين بالله"[4] وكتابـــه "رجال أبي عمر بن عبد البر"[5].

أما القصد في إغفال بعض التراجم التي أعادها ابن الأبار، معتبراً إغفالهم من قبل ابن بشكوال مأخذاً عليه، فأعتقد أنه قد قصد ذلك في بعضها، كونهم من وجهة نظره لا يستحقون أن يكونوا ضمن علماء الصلة، فتغافل عنهم، فترجم مثلاً للقاضي عبد الله بن مفرج في كتابـــه، وكـــذا ترجم لولده عمر أيضاً، وأغفل الترجمة لولده الآخر عبد الله وبالعودة إلى الترجمة التي أوردها ابن الأبار لعبد الله، نجد أن مكـــانة عبد الله الثقافية لم تكن بمستوى والده أو أخيه، فأغفله لذلك [6]، وهكـــذا فعل ابن الأبار في بقية من أغفل ابن بشكوال ذكرهم على نحو مفرد ومستقل، ولم يضع لهم ترجمة خاصة[7].

وفي هذا المقام المتعلق بالقصد في الإغفال، يأتي عدم ذكـــر ابن بشكـــوال في كتابـــه الصلة لشيوخه الذين نهل من علمهم؛ لأنه خصص لحياتهم كتـــــــــاباً مستقلاً ضم فيه تراجمهم المفصلة، فعد ابن الأبار ذلك من موجبات الاستدراك عليه، وأقدم على الترجمة للعديد منهم في التكملة، اعتماداً على "معجم مشيخة" ابن بشكـــوال المخصص

---

[1] ابن الأبار،التكملة، المصدر السابق، ج1، ص249.
[2] المصدر نفسه، ج3، ص80 (193).
[3] المصدر نفسه، ج1، ص195 (636)؛ ج1، ص254 (870)؛ ج2، ص30 (86)، ج3، ص14 (36)، ج4، ص124 (870).
[4] المصدر نفسه، ج2، ص214 (591).
[5] المصدر نفسه، ج1، ص204(1060).
[6] المصدر نفسه، 235/2 (656).
[7] المصدر نفسه، ج3، ص8 (16).

لهم، فحينما عد مؤلفاته ذكـــــر أن له معجماً في مشيخته، وتُخصص هذه المعاجم في العادة لذكر الشيوخ فقط، ورأى ابن بشكوال بناء عليه، أن لا حاجة لإعادة ذكرهم في الصلة، بما أنه ذكرهم في المعجم.

أما ابن الأبار فيرى أن ذكـر الشيوخ، يجب كـذلك أن يكـون في الصلة، لذلك علق قائلاً بعد أن ذكـر معجم شيوخ ابن بشكـوال "ومن أغفل منهم في صلته، أثبته في هذا الديوان(التكملة)، واستدركتـــه"[1]، منبهاً في أثناء ترجمته إلى أن ابن بشكـــوال "روى عنه... وأغفله"[2]، وحسناً فعل بذلك لهم لأننا فقدنا المعجم.

وكـذلك فعل ابن الأبار مع أولئك الذين ذكـرهم ابن بشكـوال في كتابـه المسمى بـــ "التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين "، فأعاد ذكـرهم مع تأكيـده، أنهم ليسوا من شرطه [3]، الذي نص عليه في مقدمة كتابـــه، حينما ذكـر أن الصلة لن يعود ليؤرخ للفترة السابقة الخاصة بكتـــــــــاب ابن الفرضي وهؤلاء التابعون هم خارج فترته المخصوصة بالتأليف.

**ثالثاً: عدم إحاطة ابن بشكـوال بالمعلومات الكـاملة حول العالم المترجم له "الإغفال الجزئي".**

أعاد ابن الأبار ذكـر العديد من تراجم العلماء الذين وردوا في كتـاب الصلة، بداعي نقص المعلومات المقدمة من قبل ابن بشكوال حول تلك التراجم، فهي كما أشار ناقصة وغير مستوفية لجوانب عديدة من حياة أولئك العلماء، فأعاد ذكـرهم في التكملة ليتسنى له إضافة تلك المعلومات الجديدة، التي كـــــــان إغفالها موجباً من موجبات الإعادة،

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص249.
[2] المصدر نفسه، ج1 ، ص37 (106)؛
[3] . المصدر نفسه، ج1، ص284 (972) ؛

فاستدرك مثلاً "تاريخ الوفاة"[1]، أو "النسب"[2]، أو أن ابن بشكــوال "لم يستوف ذكــر تواليفه"[3]، أو "لم يستوف ذكــر شيوخه"[4]، أو أنه "لم يستوف خبره"[5] بإغفاله جوانب أخرى من حياة المترجم لهم، حصلها ابن الأبار من مصادر أخرى، وأضافها إلى تلك التراجم، فغدت الترجمة بذلك أكثــر وضوحاً[6]. كمــا هو موضح في إغفال الشيوخ والمؤلفات-مثلاً- لعبد الله بن محمد النحوي في الجدول الآتي:

| الصلة: ج2، ص401 (إغفال الشيوخ والمؤلفات) | التكملة: ج2، ص240(تفاصيل جديدة حول الشيوخ والمؤلفات ) |
| --- | --- |
| 584- عبد الله بن محمد النحوي يعرف بابن الاسلمي من أهل مدينة الفرج.......<br>ومن تأليفه كتاب :"تفقيه الطالبين"ثلاثة أجزاء، وكتاب" الإرشاد إلى إصابة الصواب في الأشربة"<br>حدث عنه أبو عبد الله بن شق الليل.<br>وكان قد شرع في : "شرح كتاب الواضح للزبيدي"، فبلغ منه نحو النصف وتوفي | 666- عبد الله بن محمد النحوي، يعرف بابن الاسلمي من أهل مدينة الفرج....<br>روى ببلده عن أبي الحسن علي بن معاوية، وأبي عبد الله محمد بن مسعدة، وأبي عمر أحمد بن خلف المديوني، وأبي بكر أحمد بن موسى بن يتق، وأبي عبد الله محمد خلف بن سعيد الشولة وأكثر عنهم وبقرطبة عن أبي جعفر بن عون |

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ج1، ص23 ( 49)، وقارن بالصلة: ج 1، ص 78 (81 )؛ التكملة: ج1 ، ص18 (26) وقارن بالصلة: ج1، ص45 (25)؛ التكملة: ج1، ص193 (631)، وقارن بالصلة: ج1، ص210 (298)؛ التكملة: ج1، ص240 (816) وقارن بالصلة : ج1، ص268 (284)؛ التكملة: ج3، ص105 (262)

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص163 (631 ) وقارن بالصلة: ج1، ص21

[3] المصدر نفسه، ج2، ص240 (675) وقارن بالصلة: ج2، ص401 (584).

[4] المصدر نفسه، ج2، ص240 (675) وقارن بالصلة: ج2، ص401 (584)، التكملة: ج3، ص167 (415) وقارن بالصلة: ج2، ص591 (881)، التكملة: ج3، ص174 وقارن بالصلة: ج2، ص601 (890)،

[5] المصدر نفسه، ج1، ص31 (84) وقارن بالصلة: ج1، ص125 (159 )، التكملة: ج1، ص43 (128 ) وقارن بالصلة: 130/1 (168)، التكملة ج1، ص240 (816) وقارن بالصلة: ج1 ، ص268 (284) ، التكملة: ج1، ص244 (839)،

[6] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص23 (49)، وقارن بالصلة : ج1، ص78 (81)اعتماداً على ابن حيان . التكملة : ج1، ص193 (631) وقارن بالصلة : ج1، ص210 (298) اعتماداً على ابن بسام، التكملة: ج1، ص206 (676)، وقارن بالصلة: ج1، ص221 (312) اعتماداً على ابن عساكر.

| قبل إكماله.<br>وله كلام على أصول النحو. | الله...وعن أبي عبد الله بن مفرج القاضي، وبقلعة أيوب عن أبي محمد بن قاسم، وبقلعة عبد السلام عن أبي عمر يوسف بن عمران الفخار...وله شيوخ غير هؤلاء.<br>له تواليف منها: "كتاب تفقيه الطالبين"،و"كتاب الإرشاد إلى إصابة الصواب في الأشربة"،<br>و"كتاب في اختصاره سماه تنبيه المريدين المخدوعين بشبه الفاتنين على تحريم جميع الأنبذة المسكرة من أي الأشجار والحبوب كانت من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الفقهاء والمحدثين في أمصار المسلمين" وقفت عليه، و" تأليف في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) الآية إلى آخر الآي الثلاث، وقفت عليه.<br>وحكى ابن بشكوال: ولم يذكر من شيوخه سوى الحسن بن رشيق، ولا استوفى ذكر تواليفه. |
|---|---|

وفي السياق نفسه، أعاد كثيراً من التراجم الواردة في كتاب الصلة، بسبب الاختصار في تلك التراجم؛ إذ رأى ابن الأبار أن ابن بشكوال قد قصر في ذكر تفاصيل عديدة حول حياة العلماء المترجم لهم، فأعادها وعلق مؤكداً ذلك بقوله "ذكره ابن بشكوال،

مختصراً" [1]، أو أنه ذكـــرها بصورة مربكة وعلى غير وجهها، وتحتاج إلى إعادة، بصياغة جديدة، لرفع الارتباك والغموض عنها، فأقدم ابن الأبار على إعادتها في التكملة وبصياغة جديدة[2]، أو أن ابن بشكـوال قدم بعض معلوماته عن الترجمة على محمل الشك، فأعادها ابن الأبار ليؤكدها[3]،أو ليصوبها لأن ابن بشكوال "ذكرها وغلط بها... غلطاً لا خفاء به... والصواب"[4].

**رابعاً: عدم إفراد ابن بشكـوال تراجم مستقلة لبعض العلماء الذين ذكـرهم في ثنايا كتابه، أو ما يمكن أن نسميه "الاستخراج".**

أوقعت العجلة التي ألف بها ابن بشكـوال كتابــه الصلة، في هنات وسقطات كثيــرة كـــان أظهرها مسألة التنظيم العام في معلومات تراجمه؛ إذ أقدم على دمج أخبار عديدة تخص أشخاصاً عديدين في الترجمة الواحدة، من ناحية، أو وزع أخباراً متفرقة تخص أشخاصاً آخرين في أكثر من مكان في ثنايا الكتاب، مع عدم أفرادهم بتراجم مستقلة في الكتـاب، من ناحية أخرى عمد ابن الأبار إلى تلك التراجم المدمجة وفصلها عن بعضها كمـــا عمد أيضاً إلى الأخبار المبعثرة، فجمعها ونظمها، وشكـــل منها ترجمة جديدة اعتماداً على أخبار الصلة، وقد بين منهجه هذا في ترجمة والد ابن الفرضي الذي أغفله ولده في كتابـــــه، فقال" حكى عنه ابنه في التاريخ، **وأتى بخبره تفاريق فجمعتها**"[5] وهكذا سار ابن الأبار في منهج الجمع هذا مع ابن بشكوال في العديد من أخبار التراجم المبعثرة التي استخرجها من الصلة، واكتفى في كثير من الحالات بالمعلومات الواردة في الصلة والمسألة لا تعدو في غالبيتها مسألة تنظيمية، وجاءت لديه في وجوه عديدة:

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص26 (59)، وقارن بالصلة: ج 1، ص108 ( 129)، التكملة : ج1،

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص21 (37)، وقارن بالصلة: ج1، ص59 (47)، التكملة: ج1، ص49 (148) وقارن بالصلة: ج2، ص449 (658).

[3] المصدر نفسه، ج2، ص218 (607)، وقارن بالصلة: ج1، ص364 (537).

[4] . المصدر نفسه، ج1، ص43 (128)، وقارن بالصلة ج 1، ص130 (168)، التكملة: ج 1، ص186 (614) ، وقارن بالصلة: ج3، ص906 ( 1394) ، التكملة : ج1 ، ص306 (1070).

[5] المصدر نفسه، ج1، ص296 (1026).

**أ- إفراد ترجمة عالم ورد ذكره في تراجم عائلته الواردة في كتاب الصلة:**

حفلت الأندلس بالأسر العلمية الأندلسية، نبغ العديد من العلماء ممن ينتمون إلى أسرة واحدة، وحينما كان يفرد ابن بشكوال ذكر أحدهم بترجمة مفردة، كان يعرج في أثناء ذلك على ذكر أشخاص آخرين نبغوا علمياً من الأسرة نفسها، وكان في أحيان كثيرة يغفل عن إفرادهم بتراجم مستقلة مفردة في الكتاب[1]، فعمد ابن الأبار في كثير من الأحيان، وأعاد جمع شتات تلك المعلومات المتفرقة المبثوثة في تلك التراجم، وصنع منها ترجمة جديدة، وأفردها في مكان مستقل في التكملة، وعلق عليها قائلاً: "ذكر ذلك ابن بشكوال (يعني في تراجم عديدة من الكتاب)، وأغفله(يعني بترجمة مفرده مستقلة)"[2]، كاستخراجه ترجمة لأحد الأعلام من ترجمة العم[3]، أو من ترجمة الجد[4]، الواردة في الصلة، كما في المثال الآتي:

| الصلة:( العائلة) | التكملة:( الحفيد) |
|---|---|
| - ج1، ص33(5): أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن حيى بن عبد الملك العبسي من أهل إشبيلية .<br>- ج2، ص525(773): عبد الملك بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي من أهل اشبيلية.<br>- ج3، ص994(1547): أمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي الزاهدة، ذكرها أبو محمد بن | ج1، ص313-1102: محمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن حي بن عبد الملك العبسي من أهل اشبيلية، سمع من عمته أمة الرحمن بعض ما روته عن أبيها أبي عمر أحمد بن عبد الرحمن، وكان سماعه وسماع أبي محمد بن خزرج منها واحداً، وتوفيت عمته سنة أربعين وأربعمائة. من كتاب ابن بشكوال. |

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدرالسابق، ج2، ص310 (896)، وقارن بالصلة: ج2، ص440 (643).
[2] المصدر نفسه، ج1، ص329 (1163 )، وقارن بالصلة: ج 1، ص 533 (782)، والصلة: ج2، ص764 (1152) ، التكملة: ج1 ، ص313 (1102)، وقارن بالصلة: ج1، ص33 (5)، والصلة: ج2، ص525 (773) والصلة: ج3، ص994 (1547).
[3] المصدر نفسه، ج1، ص29 (72)، وقارن بالصلة: ج2، ص533 (781).
[4] المصدر نفسه، ج1، ص309 (1086)، وقارن بالصلة: ج1، ص295 (428).

| | |
|---|---|
| خزرج، وقال: سمعت عليها مع ابن أخيها محمد بن عبد الملك بعض ما روته عن أبيها، وكانت صوامة قوامة، وتوفيت بكراً لم تنكح قط سنة أربعين وأربعمائة في شعبان، وسنها نيف وثمانون سنة، رحمها الله. | |

**ب- استخراج ترجمة للأب وردت في ترجمة الابن أو العكس:**

حملت تراجم الصلة معلومات عائلية كثيـــرة؛ ففي حديث ابن بشكـــوال عن الابن العالم، كثيـــراً ما تحدث عن الوالد ودوره في تربية ولده ثقافياَ، وأغفل في كثيـــر من الأحيان، إفراد ذاك الوالد بالترجمة المفردة المستقلة في الكتـــاب، فعمد ابن الأبار إلى استخراج تلك المعلومات، وإفرادها في ترجمة مستقلة، على غير زيادة في غالب الأحيان، عما ورد عنه من معلومات في ترجمة الابن في الصلة[1]، كمـــــا في المثال الآتي:

| **الصلة :** | **التكملة:** |
|---|---|
| ج2، ص517 (760):( الابن)<br>- عبد الرحمن بن **أحمد بن خلف بن رضا المقرئ** الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة، وصاحب صلاة الفريضة به. يكنى أبا القاسم......وكـــان مولده فيما أخبرني سنة سبعين وأربعمائة عام وفاة أبيه رحمه الله، وكـان تركـه حملاً، وروى أبوه عن محمد بن عتاب كثيراً، وعن غيره من العلماء. | ج1، ص28 (69): (الأب)<br>- أحمد بن خلف بن أحمد من أهل قرطبة، يعرف بابن رضي. وهو والد الخطيب أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد.<br>وروى عن أبي عبد الله بن عتاب وغيره. وتوفي سنة سبعين وأربعمائة، وفيها ولد ابنه، وكان قد تركه حملاً، **قاله ابن بشكوال**. |

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص28 (69)، وقارن بالصلة: ج2 ، ص517 (760).

وكـــــذلك الحال فعل في ترجمة الأب العالم، التي تحمل معلومات عن بعض الأبناء العلماء، فأفردهم بتراجم مفردة[1].

**ج: استخرج ترجمة أحد الأعلام من ترجمة أخرى:**

تدور التراجم حول سيرة العلماء، وتسعى إلى تقديم صورة عامة متكــاملة عن حياتهم، وكثيــراً ما حملت أيضاً أخباراً أخرى، عن بعض الأشخاص الآخرين المشاركــين في بعض الأحداث، المتعلقة بالشخصية الرئيسة، وكثيراً ما أغفل ابن بشكوال إفراد هؤلاء بتراجم مستقلة، إما لقلة المعلومات حولهم، أو لعدم استحقاقهم الإفراد بتراجم خاصة، وكـــــذا وردت أسماء عديدة لأشخاص كثيـــــرين، في سلاسل أسانيد الصلة، لكن ابن بشكــــوال لم يفرد لهم تراجم مستقلة في كتابـــــه، للأسباب ذاتها، فعمد ابن الأبار إلى استخراجها وأفرادها، معلقاً عليها بقوله: " أغفله ابن بشكــوال، وقد أجرى ذكــره في كتابــه"[2]، أو "وقع ذكـره في كتــاب ابن بشكـوال وأغفله، فاستدركتــه عليه"[3]، وكــانت الترجمة الجديدة في غالب الأحيان، تكتفي بما ورد من معلومات حوله بما ذُكـــــر في الصلة، وتضيف إليها أحياناً أخرى معلومات جديدة من مصادر أخرى، كمــا في المثال الآتي:

| الصلة:ج1، ص75 (75): | التكملة:ج1، ص252 (859): |
|---|---|
| - أحمد بن عفيف الأموي من أهل قرطبة... يكنى أبا عمر...لما وقعت الفتنة خرج عن قرطبة وقصد المرية فأكـــــــــــرمه | - حبيب بن سيد الجذامي من أهل بقصرة عمل مرسية وصاحب الصلاة، بها كـــــان من خيار الناس وصلحائهم موصوفاً |

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ص86 (96)
[2] المصدر نفسه، ج1، ص154 (485) وقارن بالصلة: ج1، ص84 (92)، التكملة: ج1، ص229.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص6 (15) انظر: ج1، ص221 (734)، ج3، ص75 (184)؛ ج4، ص7 (16)، ج4، ص225 (628).

| خيران...فقلده قضاء لورقة فخرج إليها وألقى عصاه بها..لم يزل حسن السيرة إلى أن توفي ضحوة يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت لربيع الأول سنة عشرين وأربعمائة، وصلى عليه الرجل الصالح حبيب بن سيد الجذامي. | بالزهادة والانقطاع، وهو الذي صلى على أبي عمر بن عفيف عند وفاته بلورقة في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة. ذكره ابن حيان عن القبشي. **وذكر ذلك أيضاً ابن بشكوال وأغفله، وقد أورد كثيراً من صنفه.** |
|---|---|

**خامساً: الاستشهاد بمادة الصلة:**

سبق أن أشرت إلى مقدار إعجاب ابن الأبار بكتاب الصلة، وقد حضر الكتاب في التكملة، بصفته مصدراً من المصادر التي اعتمد عليها، في حالات اقتضت منه الإشارة إلى الصلة في ما ذكره [1]، كأن يبين أن أحداً من أسلاف المترجم له، وارد في الصلة، فيقول: "أبوه مذكور في الصلة"[2]، أو أن يحيل إليها لمزيد من التوضيح، في قضايا سابقة، فيقول "وبيان ذلك في الصلة"[3]، أو أن يعتمدها في تصحيح معلومة[4]،أو ترجيحها،[5] مقارنة مع مصادر أخرى، اعتمدها في التكملة، وأخطأت في بيان أمرهما.

**سادساً: التنبيه على المتشابه بين ما ورد في التكملة مع الصلة:**

كان ابن الأبار حريصاً على التأني في إخراج الكتاب، لكي لا يبقي لأحد طريقاً في الاستدراك أو التنبيه عليه، وقد راجع الكتاب طيلة عشرين سنة حرصاً على الكمال

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ج1، ص36 (103) وقارن بالصلة: ج3، ص835 (272)، التكملة: ج1، ص174 (570) و قارن بالصلة: ج1، ص115 (141).
[2] المصدر نفسه، ج3 ، ص176 (439)، وقارن بالصلة: ج2، ص772 (1665)، وانظر كذلك، التكملة: ج1، ص97 (281 )
[3]المصدر نفسه: ج 1،ص326 (1155) وقارن بالصلة : ج3، ص792 (1192)، 302 (1053).
[4] المصدر نفسه، ج1، ص119 (352)، وقارن بالصلة: ج 2، ص561 (829)، التكملة: ج1، ص210 (690) وقارن بالصلة: ج3، ص883 (1350)، التكملة: ج2، ص174 (448)، وقارن بالصلة: ج1، ص239 (338).
[5] المصدر نفسه، ج3، ص99 (248)، وقارن بالصلة: ج3، ص870 (1329)، التكملة: ج3، ص455 (456) وقارن بالصلة: ج3، ص947 (1458).

"ويعلم الله أني وهبت الكـــرى للسهاد، وذهبت أبعد مذهب في الاجتهاد، وعنيت بهذا التصنيف أتم عناية، وبلغت به من التصحيح أقصى نهاية، وما زلت أسمو إليه حالاً على حال، وأعكف عليه بين حل وترحال"[1]، لذا أقدم على تنبيه القارئ لكتابـــه إلى ما يتشابه من أخبار بين ما ورد فيه، وبين ما ورد عند ابن بشكـــــوال، خشية الالتباس و الاشتباه، أو الاستدراك[2]، كما هو واضح في المثال المذكور تالياً:

| **الصلة:ج2، ص588 (874):** | **التكملة:ج3، ص150 (377):** |
|---|---|
| - عمر بن خلف الهمداني الألبيري، منها، يكنى أبا حفص. | - عمر بن فرج اليابري، منها، صحب أبا الحجاج الأعلم، وأخذ عنه. **وفي الصلة عمر بن خلف وهو أيضاً يابري، ويعرف بابن اليتيم، وهو غير هذا.** |

**سابعاً: الإعادة الكاملة:**

أعاد ابن الأبار ترجمتين، اعتماداً على ابن بشكـوال كمـا هما في الصلة، فأعاد في الأولى الاسم فقط من كامـــل الترجمة المفصلة في كتـــاب الصلة، وأعاد الثانية بتغيير طفيف فيها، يتعلق بإضافة تاريخ معين في حياة المترجم، لبيان زمانه.[3] كما هو واضح في الجدول الآتي:

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ج1، ص6.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص19 (31)، وقارن بالصلة: ج1، ص35 (9)، التكملة: ج1، ص307 (1075)، وقارن بالصلة: ج2، ص745 (118) التكملة: ج1، ص329 (1168)، وقارن بالصلة: ج3، ص810 (1221)، التكملة: ج2، ص212 (583)، وقارن بالصلة: ج3، ص915 (1410)، التكملة: ج2، ص311 (898)، وقارن بالصلة: ج2، ص457 (675)
[3] المصدر نفسه، ج2، ص233 (651)، وقارن بالصلة: ج2، ص414 (601)، التكملة: ج4، ص64 (176)، وقارن بالصلة: ج2، ص672 (992).

| الصلة | التكملة |
| --- | --- |
| - ج2، ص414 ( 601): عبد الله بن محمد بن زياد الأنصاري من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، وهو والد زياد بن عبد الله الخطيب.<br>كـــان من أهل الخير والصلاح......توفي عشي يوم الجمعة لأربعة بقين من رمضان المعظم من سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.<br>ج2، ص672 ( 992): فرج بن غزلون بن العسال اليحصبي، من أهل طليطلة، روى عن العسال اليحصبي، من أهل طليطلة، روى عن فرج الواعظ. | - ج 2، ص 233 (651): عبد الله بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زياد روى عنه ابنه زياد. من كتـــــــاب ابن بشكوال.<br>ج4، ص64(176): فرج بن غزلون اليحصبي، من أهل طليطلة، يعرف بابن العسال، روى عن عبد الوارث بن سفيان وغيره، حدث عنه ابنه أبو محمد الزاهد، سمع منه سنة أربع وعشرين وأربعمائة . ذكره ابن بشكوال. |

**تمهيد**

لقد شهد القرن السابع الهجري ازدهارا علميا كبيرا في جميع حواضر المغرب الأوسط، لاسيما بجاية التي تعد أحد المراكز الثقافية الهامة في هذا العصر، فقد عرفت تألقا وبروزا لا مثيل له منذ تأسيسها في العهد الحمادي خلال القرن الخامس الهجري. فعلى الصعيد السياسي استطاعت بجاية أن تقاوم وتتأقلم مع كل التيارات الداخلية والخارجية، وأن تحافظ على استمراريتها ففي عهد الحماديين مثلت بجاية استمرار لعهد القوة، عسكريا وسياسيا وحضاريا، فقد شهدت قفزة في ميدان العمران والثقافة ثم الموحدون الذين أولوها اهتماما كبيرا، وحرصوا على إحاطتها بأهل العلم والشورى من أمراء الدولة ومشايخها. ونفس الوضع شهدته في العهد الحفصي، فكانت تعتبر العاصمة الثانية بعد تونس.

كما شهدت بجاية حركة علمية بفضل انتشار مراكز التعليم كالمساجد والكتاتيب والزوايا، التي أدت دورا مهما في الازدهار الحضاري، فقد كانت مقصدا لطلاب العلم من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، هذا إلى جانب دور السلاطين والأمراء في تفعيل نشاط الحركة العلمية. وكان لهجرة الأندلسيين كذلك دور كبير في إثراء الثقافة ببجاية أدى إلى تبادل معرفي.

**المبحث الأول: الأوضاع السياسية والثقافية في بجاية خلال القرن السابع الهجري**

**أولا: سياسيا**

يعتبر بنو حفص أهم أسرة حاكمة في تاريخ المغرب الأدنى إبان الفترة المتأخرة من العصور الإسلامية، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى الشيخ أبي عمر بن يحي الهنتاني أحد العشرة من أصحاب المهدي وقد كانت لهم مكانة كبيرة/بني حفص/ في الدولة الموحدية ، إذ تقلد مناصب هامة في الدولة، ويعد أبو زكيا الحفصي مؤسس الحقيقي للدولة الحفصية[1]

لقد استقل الحفصيون والجهة الشرقية من المغرب الأوسط عن الموحدين بتولي ابي زكرياء، يحي بن ظابي محمد بن عبد الواحد الحفصي لزمام السلطة بتونس سنة ست مائة وخمس وعشرون من السنة الهجرية[2] . فدخلت بجاية تحت حكم الحفصيين بعد استيلاء أبي زكياء الحفصي عليها سنة ست مائة وتسع وعشرون من السنة الهجرية وفي سنة ست مائة وثلاث وثلاثون من السنة الهجرية، أسند حكم المدينة وإقليمها لابن أبي زكرياء يحي الأول، فجعل وزارته ليحي بن صالح بن إبراهيم وشواره لعبد الحق بن ياسين، وكلهم من هنتانة، وتوفي سنة ست مائة وست وأرعين من السنة الهجرية[3].

ولى المستنصر أبا هلال عياد بن سعيد الهنتاني على بجاية فمكث بها إلى وفاته سنة ست مائة وثلاث وسبعون من السنة الهجرية/ ألف ومئتان وأربع وسبعين من السنة الميلادية، فخلفه إبنه محمد لكنه لم تطل ولايته طويلا كل بجاية لأن والي عهد الخليفة المستنصر بالله

---

[1] ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادى الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص103 .

[2] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 15. أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، (دط)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008م، ص180.

[3] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 16.



يحـــي الملقـــب بـــالواثق عزلـــه وأبعـــده عـــن بجايـــة، خشـــية اســـتبداده فأشـــرك معـــه أبـــا العـــلاء إدريـــس بـــن عبـــد الملـــك الغـــافقي علـــى أشـــغال بجايـــة، فوجـــد محمـــد بـــن هـــلال فـــي ذلـــك مضـــايقة لـــه، فـــتخلص منـــه بقتلـــه فـــي ســـنة ســـت مائة وسبع وسبعين من السنة الهجرية.

وفـــي ســـنة ســـت مائـــة وتســـع وســـبعون مـــن الســـنة الهجريـــة ولـــى إبـــراهيم الأول ولـــده الأكبـــر أبـــا فـــارس عبـــد العزيـــز علـــى بجايـــة، وجعـــل حجابتـــه لمحمـــد بـــن أبـــي بكـــر بـــن خلـــدون جـــد المـــؤرخ الأقـــرب، ولـــم تكـــن لتمـــر ثـــلاث أشـــهر وثـــلاث وعشـــرون يومـــا علـــى حجابتـــه حتـــى قتـــل علـــى يـــد ابـــن أبـــي عمـــار[1] الـــدعي، انتشـــر خبـــر الـــدعي عنـــد عـــري طـــرابلس الـــذين ســـاعدوه علـــى بســـط نفـــوذه الـــذي احتـــوى علـــى غالـــب الـــبلاد [2] ، فـــأحس ابـــن إســـحاق إبـــراهيم الحفصـــي بـــالخطر يهـــدد ملكـــه، فـــنهض لمحاربـــة الـــدعي. فهـــذا الأخيـــر اســـتطاع الحـــاق الهـــزائم بـــه وبابنـــه زكريـــاء التـــي اضـــطرتهما إلـــى الانســـحاب والتوجـــه إلـــى بجايـــة التـــي كـــان بهـــا أبـــو فـــارس، وعنـــد وصـــول ابـــن أبـــي إســـحاق إبـــراهيم إلـــى بجايـــة خلـــع نفســـه مـــن الحكـــم وولـــى ابنـــه أبـــو فـــارس، والـــذي لقـــب نفســـه بالمعتمـــد، خـــرج لمواجهـــة الـــدعي والتقـــى معـــه علـــى قلعـــة ســـنان فخانـــه جيشـــه الـــذي التـــف حـــول الـــدعي وأمســـك أهـــل بدايـــة المعتمـــد حـــين رجوعـــه وأتـــوا بـــه للـــدعي فقتلـــه فـــي التاســـع عشـــر مـــن شـــهر ربيـــع الأول ســـنة ســـت مائـــة وإثنـــان وســـتون هجـــري، ونجـــا أبـــو زكريـــاء بـــن أبـــي إســـحاق إلـــى بـــلاد المغـــرب ثـــم ســـيق أخوه عبد الواحد حيا فقتله الدعي[3].

عمـــت بجايـــة بعـــد هـــذه الواقعـــة الاضـــطراب وحالـــة مـــن الفوضـــى، امتلـــك فيهـــا الـــدعي الـــبلاد لكنـــه لـــم يمتلـــك عـــرش إفريقيـــة طـــويلا، فلقـــد ظهـــر

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان الطبوعات الجامعية، ج2، ط7، الجزائر، 1995، ص 80 .

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص 81.

[3] محمد بن محمد الأندلسي الوزير سراج، الحلل السندسية في أخبار التونسية، تحقيق/ محمد الحبيب هيله، الدار التونسية للنشر، جـ 1، القسم 4، 1970م، ص 1037



الأمير ابن زكرياء بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي استطاع أن يحقق النصر واسترجع ملك أبائه وتم له التخلص من الدعي ست مائة وثلاث وثمانون ه/ألف ومئتان وخمس وثمانون م وبهذا أصبح ملك لإفريقيا ولقب نفسه بالمستنصر بالله، لكنه لم يتمكن من البقاء طويلا في كل أعمال إفريقيا لأن أبو زكرياء بن إسحاق إبراهيم تقاسم معه الملك، فلقد استولى أبو زكرياء على الجهة الغربية للدولة الحفصية، فأصبحت بذلك مقسمة إلى شطرين: الشرق ضم تونس وحكمه أبو حفص ، والغرب وضم بجاية وقسنطينة وحكمه أبو زكرياء. وبعدما استقر ملك هذا الأخير رغب في التوسع وضم باقي المناطق الحفصية فتوجه إلى تونس للاستيلاء على ملك أبي حفص فنهض في سنة ست مائة وخمس وثمانين هجري/ ألف ومئتان وسبع وثمانون م[1].

وبانقضاء القرن السابع ه/ الثالث عشر م، وبداية القرن الثامن ه/ الرابع عشر م عرفت بجاية عدة محاولات غزو من طرف الزيانيين كما تعرضت بجاية لسيطرة المرينيين، فبعد إخضاعهم الطويل إليها تمكن أمراء الحفصيين من جمع كل أعمال الدولة الحفصية.

**ثانيا: ثقافيا**

رعى خلفاء الموحدين وحكام الإمارات المغربية المستقلة عنهم الحياة الثقافية بمختلف جوانبها: العلمية، والأدبية، والفكرية، ورصدوا للأدباء والعلماء الجوائز والمكافآت، وعملوا على تقريبهم من بلاطهم، و بالغوا في ذلك فقد كان الحكام أنفسهم شعراء ومثقفين، وانتشرت دور العلم ومراكز الثقافة ، وأقبل الناس يغترفون من معينها الذي لا ينضب ، وكان لهجرة الأندلسيين إلى المغرب آثارا

[1] ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص149.



طيبة على الحياة الثقافية ؛فتنوعت مصادرها وازدهرت بمختلف شعبها ومجالاتها.

ومن المراكز الثقافية الهامة التي اشتهرت بالمغرب خلال القرن السابع الهجري : "مدينة فاس"، حيث اجتمع فيها علم القيروان "حاضرة إفريقية "، عندما عاثت فيها غزوات الأعراب ... وعلم قرطبة عاصمة الأندلس،حينما اضطرب الأمن بعد بني أمية، رحل من كان فيها من العلماء والفضلاء فرارا من الفتنة إلى فاس[1].

كما انتشرت مختلف العلوم والمعارف كالنحو، واللغة، والعروض والبلاغة ، والتاريخ ، والفقه والتصوف ، وتدرجت هذه المعارف في مدارج التطور والتقدم ، ونبغ فيها الكثير من أبناء المغرب مثل: ابن معطي الزواوي[2] ، وظهرت المدارس النحوية كمدرسة فاس ومدرسة تلمسان، ومدرسة سبتة.[3]

وقد عرف المشهد الثقافي زخما علميا وأدبيا متزايدا في القرن السابع الهجري ، وبالرغم من الاضطرابات السياسية الدامية خلال فترة حكم المأمون ؛فإن ذلك لم يمنع النشاط العلمي من مواصلة سيره الحثيث قدما إلى الأمام ،وتطوره نحو آفاق أرحب.فقد حرص الخلفاء الموحدون من بعده على العناية بالجانب الثقافي والفكري للدولة.

لقد كان الرشيد الموحدي شديد العناية بالنواحي الأدبية والعلمية حيث أولاها فائق عنايته ، وكان يتردد باستمرار على مدينة فاس -

---

[1] داود عمر سلامة عبيدات، المرجع السابق، ص 274.

[2] ابن معطي : هو أبو الحسين زين الدين أبو زكريا يحيى بن عبد المعطي بن عبدالنور الزواوي، من قبيلة أفراوسن بزواوة ، ولد بالجزائر سنة 564 هـ ، أخذ العلم عن مشايخ بلده ثم انتقل إلى الشام فسمع من علمائها، و اشتهر بالنحو و علوم اللغة، و نظم الألفية في النحو المشهورة ( بالدرة الألفية في علم العربية) و التي أخذ عنها ابن مالك و أشاد بها ، وله مؤلفات عديدة مثل كتاب العقود و القوانين في النحو، كما عرف بنظم الكتب و المعجمات، توفي بالقاهرة سنة 628 هـ. للمزيد ينظر / عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، ط 2، 1980 م ، ص167 – 168 . موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين ، دار الحضارة ، 197

[3] بتصرف / عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2، ص 126.

عاصمة الثقافة والفكر - وينفق بسخاء على العلماء والأدباء والمثقفين ، ويشرف بنفسه على سير مختلف مرافق العلم ودور الثقافة ،على الرغم من الوضع السياسي المتفجر هناك.[1]

وعرف المشهد الثقافي في دولة بني حفص خلال القرن السابع الهجري ازدهارا كبيرا بفضل عناية الخلفاء الحفصيين ورعايتهم للأدباء والعلماء ،وتقريبهم وإغداق الأموال والهدايا عليهم ، وإقامة المنشآت الثقافية في مختلف أنحاء المملكة، كما ساهمت هجرة العلماء والأدباء الأندلسيين في إنعاش الجانب الثقافي بالإمارة الحفصية فاستقر بها عدد كبير منهم، واحتلوا مكان الصدارة في البلاط الحفصي، وزاحموا أبناء البلد الأصليين في مختلف مجالات الحياة.

"اشتهر الخلفاء الحفصيون عموما برعاية الأدباء ... وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات وزوايا نذكر منها خاصة مكتبة أبي زكرياء الأول، وكانت كتبها لا تقل عن 36000كتاب".[2]

وكان السلطان أبو زكريا أديبا شاعرا محبا للأدب،" وكان معدودا من العلماء وفي الشعراء النبلاء، وله شعر مدون"[3]

وسار المستنصر على نهج أبيه في الاعتناء بالثقافة وتقريب العلماء والأدباء من بلاطه، فازدهرت مختلف العلوم والفنون، وأصبحت تونس قبلة للمثقفين.

" وقد تألقت مجالسه الأدبية والفنية بألمع شعراء عصره من الأندلس والمغرب وإفريقية، وسيروا شعرهم فيه مشرقا ومغربا

---

[1] بتصرف حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق/ محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م، ص 57.

[2] أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، ط 1، دار المعارف، تونس، 1988م، ص 10

[3] ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص 112

وضمت هذه المجالس بالإضافة إلى الشعراء صفوة من اللغويين والمؤرخين والكتاب والعلماء في شتى الفنون".[1]

وبذلك أتيح لمختلف العلوم والمعارف أن تزدهر وتتقدم في ظل الخلفاء الحفصيين خلال القرن السابع الهجري، وتعرف رواجا وانتشارا كبيرين. "فالعلوم الإسلامية والعلوم الأدبية علاوة عن غيرها من الصنائع والحرف وجدت ما ينميها ،إذ توفرت عليها ثقافتان: ثقافة أندلسية وافدة، وثقافة أصيلة من مدرستين :مدرسة المهدية ومدرسة القيروان ، ولقحت الثقافتان بثقافة شرقية جلبها إما بعض الأندلسيين الوافدين الذين زاروا المشرق قبل أن يتوطنوا إفريقية، أو بعض الأفارقة الذين قصدوا المشرق لتتميم هذه الثقافة".[2]

لقد غادر جمع غفير من الأندلسيين ديارهم متجهين نحو بلاد المغرب والمشرق، فرارا من الأهوال والمحن التي تعرضت لها الأندلس والخراب الذي لحقها جراء سقوط مدنها وقلاعها بأيد الغزاة الصليبيين، الذين زحفوا على الأندلس خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري، وكان في مقدمة النازحين: العلماء، والأدباء والمثقفين وأصحاب الحرف والصناعات، وقرروا الإقامة بالإمارة الحفصية؛ فقد عمل الحكام الحفصيون على استقطاب خيرة أبناء الأندلس النازحين لغرض تنشيط الحياة بمختلف جوانبها بإمارتهم الفتية خلال هذا القرن، ومن الشخصيات الأندلسية البارزة نذكر: أبو بكر بن سيد الناس اليعمري[3] ، أبو المطرف بن عميرة، ابن

---

[1] أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية ، ص 18.

[2] ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر نفسه، ص 28.

[3] ابن سيد الناس اليعمري : هو الفقيه المحدث اللغوي المؤرخ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي، أصله من أبدة من أعمال جيان، ولد سنة 561 هـ كان خطيبا بالمسجد الأعظم ببجاية ، ثم استقدمه المستنصر الحفصي إلى مجلسه و كانت له حضوة عنده، كما كان حسن الكتابة و النظم، توفي بتونس سنة 659 هـ. للمزيد ينظر / الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ، ص 246 – 249

عصفور[1]، حازم القرطاجني[2] ، علي بن سعيد المغربي، وقد جلب هؤلاء الأندلسيون معهم ما تعلموه بالأندلس من علوم وفنون منها ذلك الإنشاء الراقي الذي كان محل إعجاب الأفارقة وعدوه من محاسن الأندلسيين وامتيازاتهم.[3]

لقد التقت بالإمارة الحفصية عدة ثقافات وافدة من الأندلس والمشرق وامتزجتا بالثقافة المحلية، الأمر الذي أدى إلى تنوع فكري خصب وثراء ثقافي مثمر، تحول على إثره المغرب الإسلامي إلى قوة جدب ومركز ثقل للحضارة العربية الإسلامية، بعد أن تراجع المشرق عن دوره الريادي في العالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري، جراء الصراعات الداخلية التي ما فتأت تنخر جسد الدولة هناك، بالإضافة إلى الأخطار الخارجية المتزايدة التي باتت وشيكة الوقوع ، وقد وصلت إلى ذروتها فسقطت الخلافة الإسلامية ببغداد في بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فكل هذه التداعيات ساهمت في تحويل بلاد المغرب إلى قبلة توجه شطرها العلماء والأدباء.

ومن العلماء والمفكرين الأفارقة: ابن حماد الصنهاجي[4]،

---

[1] ابن عصفور : هو الشيخ الفقيه النحوي اللغوي المؤرخ أبو الحسن علي بن عبد المؤمن بن محمد بن علي الحضرمي عرف بابن عصفور من أهل اشبيلية، نشأ و تعلم بها على تلة من الشيوخ منهم أبي علي الشلوبين ، آقام ببجاية و كان آستاذ ا للامير آبى يحيى ، ثم انتقل الى تونس ، و كان من جلساء المستنصر الحفصبى المقربين، توفي بتونس سنة 670 هـ . للمزيد ينظر/ الغبريني، عنوان الدراية، المصدر نفسه، ص 266 - 268

[2] حازم القرطاجني : هو الشيخ النحوي الشاعر الكاتب الناقد أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني صاحب كتاب منهاج البلغاء، ولد بقرطاجنة الخلفاء بالأندلس سنة 608 هـ و نشأ بها ، وأقام بمراكش في خلافة الرشيد ثم انتقل إلى تونس و عين في ديوان الإنشاء بالبلاط الحفصي في خلافة المستنصر ، توفي بتونس سنة 684 هـ . للمزيد ينظر / المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 2، ص 584 – 589.

[3] بتصرف ابن قنفد القسنطيني،، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص 28 – 29.

[4] ابن حماد الصنهاجي : هو الشيخ الفقيه أبو عبد الله بن على بن حماد بن عيسى بن آبى بكر الصنهاجي من قلعة بني حماد، تعلم هناك ثم ببجاية أخد العلم عن كثير من الشيوخ منهم أبي مدين شعيب ، ولي قضاء الجزائر ثم قضاء سلا بالمغرب الاقصى ، و من مؤلفاته : الإعلام بفوائد الاحكام ، و شرح مقصورة ابن دريد ، توفي سنة 628 هـ. للمزيد ينظر / الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 192 .

وابن ميمون[1]، وغيرهما كثير[2].كما شجع الولاة الحفصيون العلماء والمثقفين ، وقربوهم منهم في قسنطينة وعنابة وبجاية ومدينة الجزائر.

فاشتهر الكثير منهم مثل: أبي القاسم بن السطاح[3] ، وغيره من العلماء والمثقفين[4]، ونشطت الحياة الثقافية بمختلف جوانبها في إمارة بني زيان خلال القرن السابع الهجري، بتشجيع ملوك هذه الإمارة للعلم والعلماء ، وإقامة المدارس ودور العلم في مختلف جهات مملكتهم ورصد الجوائز والمكافآت للعلماء والطلاب، والعمل على إيجاد الشروط الضرورية المناسبة لإقامتهم، وبخاصة في تلمسان حاضرة الدولة الزيانية . وقد تحولت تلمسان إلى منارة إشعاع ثقافي ليس في بلاد المغرب فحسب بل في كامل العالم الإسلامي مشرقه ومغربه فأقبل عليها الطلاب من كل حدب وصوب، وراجت فيها سوق العلم والأدب، ونبغ في مملكة الزيانيين الكثير من الأدباء والفقهاء واللغويين ، وفي مختلف شعب العلم والمعرفة مثل: ابن خميس التلمساني، وغيره من الأعلام ممن ذكرهم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف.[5]

وبالإضافة إلى ما قام به حكام بني زيان من تشجيع وتنشيط للحياة الثقافية بمملكتهم، فإن لهجرة الأندلسيين إلى الإمارة الزيانية

---

[1] ابن ميمون : هو الشيخ الفقيه النحوي المؤرخ الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون القلعي، نشا بالجزائر و تعلم بها ، ثم انتقل إلى بجاية و سمع من الكثير من الشيوخ مثل : الفقيه ابن محرز ، و ابن عميرة ، برع في علوم العربية كما برع في علم التصريف متأثرا بابن جني ، له الكثير من المؤلفات منها: الموضح في علم النحو، و نشر الخفي في مشكلات أبي علي و غيرها ، توفي ببجاية سنة 673 هـ للمزيد ينظر / الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 94 – 99.

[2] بتصرف ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص 29

[3] ابن السطاح : هو الشيخ الفقيه النحوي اللغوي أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر بن السطاح ، نشأ بالجزائر ثم رحل إلى اشبيلية و بها تعلم ، و من شيوخه: ابن زرقون، ثم انتقل إلى مدينة مرسية و أخذ عن أبي القاسم الطرسوني ، و اشتغل بالتدريس و التوثيق ، ثم رجع إلى وطنه سنة 623 هـ ، و سكن بجاية إلى أن توفي بها سنة 629 هـ . للمزيد ينظر/الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 225.

[4] بتصرف محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ط1، وزارة الثقافة (الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، الجزائر، 2007م، ص 90- 93.

[5] للمزيد ينظر / المرجع نفسه، ص 180 وما بعدها.



واستقرارهم بها الأثر العميق في ازدهار مختلف العلوم والفنون بها. "كان من نتائج نزوح الأندلسيين إلى تلمسان: ازدهار الحركة الفكرية بها حيث قام مجموعة من أفراد هذه الجالية بنشر التعليم بواسطة إلقائهم الدروس بالمؤسسات التعليمة في تلمسان والمدن التابعة لها."[1]

**المبحث الثاني : نزوله في بجاية الحفصية و بساطة فيها .**

من دون تردد يمكن القول إن هذا" الشيخ الفقيه الكاتب البارع التاريخي"، يعتبر من أبرز
الشخصيات التاريخية التي أدرجت على لائحة الوافدين على بجاية في كتاب الغبريني [2]، الذي أكد لنا قيام صاحب كتاب" التكملة "في المدة التي أقامها هناك بالتدريس والإقراء والتصنيف، هذه الشهادة المهمة تعززت بما أورده صاحب" الذيل والتكملة[3] "أيضا، من عكوف هذا الأخير في المدة الطويلة تلك، بنشر العلم بل صنفا كتابه "إعتاب الكتاب"، الذي لا يخلو مغزاه من محاولة ابن الأبار التودد والتقرب لولي 1249م (بالحاضرة تونس، وفي سياق 647 - ه / - 1228نعمته السلطان الحفصي أبي زكريا يحيى626 ) متصل نجده في جامع بجاية الأعظم، يقرأ فيه" سنن "الدّارقطني) ت 385 ه 995 /م (على شيخه الراوية ).ابن السراج (ت 657 ه 1258 / م) [4].

لا نشك مطلقا في أن ابن الأبار، كان من العناصر الأندلسية النشطة في بجاية القرن السابع هجري، لكن الإشكالية الجوه رية التي تطرح علينا هنا بإلحاح، هي غياب إشارات صريحة في المصادر

---

[1] مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ج 4، ص48.
[2] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 259 .
[3] الكتبي أحمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974م، 6/269.
[4] ابن الأبار، معجم شيوخه، تحقيق محمود الدومي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، ص 93-94.

الإخبارية، التي اهتمت بالترجمة له، تؤكد قيامه بتدريس مؤلفات تاريخية في المنطقة، حتى نستطيع تقييم نشاطه التاريخي .وهو ما يدفعنا إلى التفتيش عن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء ذلك .هل يعود فقط إلى كون طبيعة كتب التراجم والطبقات، التي غالبا ما تركز اهتمامها على ذكر شيوخ وتلامذة صاحب الترجمة إجمالا، دون الخوض في تفاصيل المواد المدرسة وأماكن الدرس، التي هي في الأصل من اختصاص كتب البرامج وفهارس الشيوخ، أم أن الأمر يتعدى ذلك؟

لن نذهب بعيدا في تحليل هذه المسألة ومناقشتها عن كتب البرامج، لنستعين مرة أخرى ببرنامج التجيبي، أين نقرأ اسم ابن الأبار يبرز في سلاسل أسانيد تلميذه الشيخ أبي عبد الله الكناني وقد درس عليه كتابين في التاريخ .الكتاب الأول هو" درر السمط في خبر السبط [1]"حيث قام ابن الأبار بتدريس كتابه" الدرر "للشيخ الكناني في حلقته وبالضبط بتاريخ محرم سنة 654 ه / 1256 م[2]، أي أربع سنوات فقط ).قبل وفاته، أما الكتاب الثاني فهو كتاب" الضعفاء والمتروكين "للبخاري) ت 256 ه / 869 م [3] نلفت الانتباه هنا، إلى أن التجيبي وإن لم يذكر لنا المكان الذي درس فيه الشيخ أبو عبد الله الكناني على شيخه ابن الأبار، إلا أنه يمكننا الجزم بكونه بجاية وليس مكانا آخر لسببين :أولهما أن ابن الأبار كان في هذه الفترة بالذات في بجاية في أعقاب الجفوة التي حصلت له مع صاحب البلاط الحفصي بتونس. ثانيهما أن التلميذ الشيخ الكناني وعلى حسب ما ذكره الغبريني استقر في المدينة بصفة نهائية منذ مدة طويلة ولم ينتقل منها

[1] وهو كتاب في مرئي آل البيت يحكي فيه سيرتحم ومناقبهم، وفي ذات الاتجاه ألف كتابه "الجين في مراثي الحسين". وأثنى عليه بالقول ولو لم يكن له من التأليف بالا الكتاب المسمى بكتاب اللجين وى مرائى اخسين لكفاه وى ارتفاع درحته وعلو منصبه وسمو رتبته"، اطلع عليه الغريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 261.

[2] التجيبي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، المصدر السابق، ص 259

[3] المصدر نفسه، ص 260 - 261.



إلى مكان آخر، على الأقل نجده بالتأكيد في بجاية في أول سنة 654 ه 1256 /م، يلتقي فيها بصديقه ابن محرز البلنسي) ت 655 ه / 1257م [1].(وهو التاريخ ذاته الذي التقى فيه بشيخه ابن الأبار ودرس عليه كتابه" درر." وإن تمكنا من الكشف عن أبرز تلاميذ التاريخي ابن الأبار في بجاية، ممن أخذ عنه بعضا من المؤلفات التاريخية ومن ثمة تسليط الضوء على جانب من جوانب النشاط التاريخي لهذا المؤرخ .لكن بشكل ضئيل وباهت لا يرقى إلى مستوى الشخصية المتحدث عنها في بجاية، خصوصا إذا علمنا أن كتابه التاريخي "التكملة "الذي بقي يحظى بعنايته ويقوم بالتصحيحات والتعديلات عليه إلى غاية سنة 655 ه 1257 / م، أي ثلاث سنوات فقط قبل وفاته. كانت مبيضته تلك بحوزة تلميذه الملازم له بتونس ابن الجلاب )ت 664 ه 1265 / م[2] (، أين قام هذا التلميذ بإعادة نسخ كتاب شيخه بناءا على تلك المبيضة، لتعرف بعدها نسخة ابن الجلاب الأم النفيسة طريقها إلى الموطن الأصلي لمؤلفها الأندلس وبالتحديد بثغر منورقة حيث قام كل من محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني وابن الحكم سعيد بن حكم بمعارضة وتصحيح نسخة" التكملة "بأصل ابن الجلاب، كان ذلك يوم الجمعة 10 جمادى الآخرة سنة 661 ه / 1262م .[3] بمعنى آخر أن كتاب ابن الأبار عبر إلى برّ العدوة الأندلسية بعد ثلاث سنوات فقط من اغتيال صاحبها، لينجو هذا الكتاب من النكبة التي لحقت بصاحبه وبمجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه، ولا يستبعد أن تكون). تلك النسخة هي النسخة الأم التي

---

[1] الغريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 104 - 105.
[2] ينظر ترجمته: ابن عبد الملاك المراكشي، المصدر السابق، 6/52-54.
[3] نعرف ذلك من خلال توقيع أحد المصححين للنسخة وهو التلمساني الذي كتب خطه على الورقة الأولى من مخطوطة الخزانة الحسنية المدرجة تحت رقم (1411). وعن هذه النسخة تتفرع نسخة المكتبة الوطنية بالرباط المدرجة تحت رقم (ك 358). لمعرفة المزيد من التفصيل عن نفاسة هذه النسخة. ينظر/ محمد المنوفي، ورقات عن حضارة المرينيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996، ص 502- 503.

انبثقت منها باقي النسخ كما أن حاضرة العزفيين سبتة، لم تكن استثناءا في ذلك حيث عرفت" التكملة "طريقها إلى العدوة المغربية مرة أخرى وإن كانت متأخرة نسبيا، لكن قبل اية القرن 7 ه 13 / م أين كانت تدرس في حلقة أحد تلاميذ ابن الأبار وممن أجازه في رواية تكملته [1]، نعني به الشيخ البلفيقي) ت 694 ه 1294 / م (ما يستدعي الاهتمام هنا، أن هذا الأخير من تلاميذ ابن السراج في بجاية وقد أشرنا إلى ذلك سابقا، كما يعتبر).

من أبرز شيوخ التجيبي في سبته، وقد درس عليه" التكملة"، يضاف إليها مؤلفات تاريخية أخرى [2] إذا تأكد لدينا انتشار كتاب" التكملة " في بعض حواضر الغرب الإسلامي الوسيط في النصف الثاني من القرن 7 ه 13 / م، تولى ذلك تلامذة ابن الأبار منهم ابن الجلاب وأبي القاسم البلفيقي، إما بطريق التدريس أو النسخ، فمن المستبعد أن تكون بجاية استثناءا في هذا، وان كانت تعوزنا المادة الخبرية الكافية المتعلقة إذا الشأن، فإن إشارة من الغبريني التي أوردها في أعقاب ترجمته للراوية ابن برطلة الأزدي) ت661 ه 1262 / م [3](، أين أحال فيها إلى مراجعة نص" التكملة"، فيما يتعلق بالأصول التي ينحدر منها هذا الأخير، يفهم منها بما لا يدعو للشك المعرفة الدقيقة بمحتوى" التكملة "من طرف الغبريني، وبالفعل العودة إلى نص "التكملة "المتداول بين أيدينا الآن، يحوي ترجمة لكلّ من والد ابن برطلة وجده [4] رغم تأكيدنا ذلك فإننا في ذات الوقت لا نعرف حقيقة مطالعته لهذا الكتاب، هل كان من نسخة شخصية كان يمتلكها ومن

---

[1] التجيبي، المصدر السابق، ص 262. وفي ذات السياق قدم لنا ابن الخطيب في كتابه الإحاطة، 3/250-251. قائمة طويلة لشيوخ البلفيقي في الترجمة التي حصه كما وذكر منهم شيخيه ابن الأبار وابن السراج.

[2] المؤلفات التاريخية التي درسها التجيبي في سبتة على شيخه أبي القاسم البلفيقي هي : تاريخ الفقهاء ورواة تاريخ الفقهاء والرواة لابن الفرضي، صلة ابن بشكوال، كتاب الذيل لكتاب الصلة لابن فرتون السلمي. حولها ينظر/ التجيبي، المصدر نفسه، ص 262 ، 263.

[3] المصدر نفسه، ص 271.

[4] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، 2/266- .3/41-42 ،268



ثمة عاد إليها أثناء تأليفه لعنوان الدراية ؟ أم أنه اطلع عليه في أحد الأمكنة التي كان يتردد عليها، قد يكون بجاية أو حتى تونس الحاضنة الأولى التي انبثقت منها نسخة" التكملة ."

**3. أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي (ت بعد : 699ه 1300 / م)**

يعتبر أبو عبد الله الكناني من الشيوخ البارزين الذين تولوا مهنة التدريس والإقراء في بجاية، تكفيه في ذلك شهادة تلميذه الغبريني [1] في الترجمة التي خصّه بها قائلا" : روى ودرس واستجاز وأجاز وروى واقرأ واستمتع واستنفع به خلق كثير"، كما أنه تولى الفريضة والخطبة بجامعها الأعظم ما ينيف على الثلاثين عاما.

لا نعرف عن أبي عبد الله الكناني انتسابه إلى طبقة المؤرخين الأندلسيين، بل شهرته أوسع في تدريس اللغة العربية وفروعها إضافة إلى علوم الحديث والقراءات، لكن ذلك لم يكن ليمنعه من تدريس مجموعة من المؤلفات التاريخية في حلقته.

وبالنظر إلى نشاطه التاريخي البارز في المنطقة، يمكن اعتباره الحلقة الأساسية الأوسع التي ترتكز عليها عملية تلقين المعرفة التاريخية مجموعة من طلبة الحلقة في بجاية خلال القرن 7 ه 13 /م، وهنا نذكر بأهمية ب رنامج شيوخه الضائع، الذي لا نعرف عنه سوى قيام الشيخ الكناني بتدريسه على تلامذته في الحلقة .يضاف إليه أيضا برنامج ابن حماد الصنهاجي) ت 628 ه 1230 / م (الضائع.

بداية مع تلميذه سليل المنطقة وقاضي المدينة الغبريني، من الملازمين لحلقة شيخه وممن أكثر القراءة عليه والرواية عنه [2]، ودرس عليه مؤلفات في الفقه والأصلين والحديث والتصوف والتفسير واللغة

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق ، ص 104.
[2] المصدر السابق، ص 106.



العربية وفروعها .يقدم لنا الجدول التالي لائحة تتكون من سبعة مؤلفات درسها على شيخه استنادا إلى مشيخته.

| الكتاب المدروس | نوعه | الصفحة |
|---|---|---|
| موطأ مالك بن أنس (ت 179 ه / 795 م) | الحديث | 311 |
| الكشاف لأبي القاسم الزمخشري (ت 538 ه / 1143م) | التفسير | 311 |
| الجامع البخاري لأبي عبد الله محمد (ت 256 ه 869 /م) | الحديث | 312 |
| المسند للإمام مسلم بن الحجاج (ت 261 ه / 874م) | الحديث | 312 |
| جامع الترمذي أبي عيسى محمد (ت 279 ه / 892م) | الحديث | 312 |
| الرسالة لأبي القاسم القشيري (ت 465 ه / 1072م) | التصوف | 321 |
| الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ت 478 ه / 1085م) | علم الكلام | 321 |

يتضح من الجدول أعلاه، دراسة الغبريني مجموعة من المؤلفات في علوم مختلفة على شيخه وبشكل خاص أمهات كتب الحديث وغيرها، إلا أنه لم يشر مطلقا إلى دراسته مؤلفات تاريخية، ما يجعلنا ننبه إلى طريقة تصنيفه للعلوم[1] بين علوم الدراية والرواية، هذا التقسيم لا يدرج علم التاريخ ضمنها، وعلى هذا الأساس صنف كتابه ربما يعكس هذا جزءا من سبب عدم تسميته لمؤلفات تاريخية درسها على شيوخه. أما التلميذ الثاني، فهو أحد الطلبة الوافدين على مدينة بجاية،

[1] لمزيد من التفصيل حول تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي. ينظر/ لعموري عليش ، تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي "الفاري، الغزالي، ابن خلدون"، الجزائر، دار هومة، 2009م، ص 59.



صاحب الرحلة، البلنسي الأصل محمد بن محمد العبدري الحيحي التحق بحلقة الشيخ مرتين في أثناء وجهته إلى البقاع المقدسة بغرض أداء مناسك الحج والعودة منها، أيّن قرأ عليه مجموعة من المؤلفات في فنون مختلفة، ما يهمنا دراسته مجموعة من المؤلفات ذات الصلة بالمعرفة التاريخية، التي أتى على ذكرها في نص الرحلة، وعليه أنجزت الجدول التالي:

| الكتاب المدروس | نوعه | صيغة التحمل | الوجهة | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| الشمائل للترمذي (ت 279 ه 892 /م) | السيرة | قراءة ومناولة | الذهاب | 30 |
| درر السمط لابن الأبار (ت 658 ه / 1259م) | مناقب آل البيت | قراءة | العودة | 130 |
| مختصر حلية الأولياء لأبي نعيم لابن قبوش أبي الحسن عبيد الله النفزي | تراجم الصوفية | مناولة | العودة | 130 |

على أن أبرز الطلبة الوافدين إلى بجاية، الذين التحقوا بحلقة الشيخ الكناني مع نهاية القرن السابع الهجري هو التجيبي، التي نزل بها سنة 694 ه / 1294 م[1]التقى فيها الشي خ ناصر الدين المشدآلي (ت 731ه 1330 / م)، درس عليه مجموعة من المؤلفات الفقهية[2] . لكن تركيزنا سوف يكون على حلقة شيخه ابن صالح الكناني، الذي درس عليه مجموعة من المؤلفات التاريخية، أتى على ذكرها في

[1] استنادا إلى ما أورده في برنامحه، ص ص 160-161. ذكر التجيبي دراسته لكتاب "الأربعين حديثا عن الأربعين شيخا من رجال الأندلس " جمع ابن الأبار، على شيخه أبي عبد الله الكناني بجاية في ثلاثة مجالس آخرها 29 ذي الحجة 694 هـ / 1294 م. وفي السنة الموالية أي سنة 695 هـ / 1295 م. كان أيضا في جاية أين درس بما على شيخه الكناني كتابي ابن الأبار "درر السمط " في التاسع من شهر محرم وفي 29 من شهر ربيع الثاني كما أعاد عليه قراءة كتاب "الأربعين حديثا". على أنه في هذه السنة أي 695 هـ / 1295 م، غادر جاية ليحط رحاله بمدينة تونس وبالضبط في شهر رحب، أين نجده في حلقة الشيخ حرز الله بن أبي محمد محرز وقد درس عليه كتاب "أخلاق النبي (ص)

[2] لمعرفة عناوين المؤلفات التي درسها التجيبي بجاية على شيخه المشدالي. ينظر/ التجيبي، المصدر السابق، ص 239، 267، 272.



برنامج شيوخه، ومن أجل تسليط الضوء عليها بشكل مباشر، وضعنا الجدول التالي:

| الكتاب المدروس | نوعه | انتماؤه | طريقة التحمّل | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| شمائل النبي لأبي عيسى الترمذي | السيرة | مشرقي | قراءة | 110 |
| سيرة ابن إسحاق )ت 150 ه / 767 م) | السيرة | مشرقي | إجازة ومناولة | 129 |
| الدرّ في اختصار المغازي لابن عبد البرّ (ت 463 ه / 1070 م) | السيرة | أندلسي | قراءة | 134 |
| الشفا للقاضي عياض (ت 544 ه / 1149م ) | السيرة | مغربي | قراءة ومناولة | 138 |
| المقتضب من حلية الأولياء لأبي نعيم لابن قبوش أبو الحسين النفزي | التراجم | أندلسي | قراءة و مناولة | 258 |
| الضعفاء والمتروكين للبخاري | تراجم | مشرقي | قراءة ومناولة | 260 – 261 |
| المؤتلف والمختلف لأبي محمد عبد الغني الأزدي (ت 409 ه / 1018 م) | تراجم | مشرقي | قارء ومناولة | 264 |
| طبقات القا رء لأبي عمرو الداني (ت 444ه / 1052 م) | التراجم | أندلسي | إجازة ومناولة | 44 |
| الصلة لابن بشك ا ول القرطبي (ت 578ه / 1182 م) | التراجم | أندلسي | قراءة و مناولة | 263 - 262 |
| درر السمط لابن الأبّار (ت 658 ه / 1259م) | المناقب | أندلسي | قراءة | 259 |
| القصد والأمم لابن عبد البر | الأنساب | أندلسي | قراءة ومحاثة | 265 |
| مشتبه النسبة في ضبط أسماء الرا وة لأبي محمد عبد الغني الأزدي | التراجم | مشرقي | قراءة ومناولة | 265 |

من خلال الجدول أعلاه يمكن تسجيل عدة ملاحظات نجملها فيما يلي:

- نقرر بداية أن مجموع المؤلفات التي درسها التجيبي في برنامجه بلغت نحو 340 كتابا، درس منها حوالي 48 كتابا في حلقة شيخه أبي

عبد الله الكناني في فنون مختلفة .[1] هذا وقد بلغ مجموع الكتب التاريخية التي درسها في برنامجه حوالي 28 كتابا، منها 12 كتابا تاريخيا درسه على شيخه الكناني، وعناوينها مثبتة في ¼مجموع المؤلفات التاريخية المدروسة في البرنامج، كما تمثل ½ الجدول أعلاه .وهي بذلك تمثل ما يقرب مجموع المؤلفات التي درسها على شيخه.

- نلفت الانتباه أيضا، أنه من أصل 12 كتابا تاريخيا التي درسها التجيبي في بجاية، توجد منها 6 مؤلفات درسها في بجاية [2] فقط دون غيرها من الحواضر الأخرى، التي توزعت حصصها التدريسية لتلك المؤلفات، كما في هذا الجدول التوضيحي:

| الحاضرة | عدد المؤلفات التاريخية المدروسة بها | الصفحة من البرنامج |
|---|---|---|
| مالقة | 3 | 266، 263،244 |
| سبتة | 10 | 263، 135، 262، 137، 128 ،111 |
| تونس | 2 | 135،250 |
| حواضر مصر [3] | 10 | 265، 264، 251، 135، 131 ، 111،130 |
| دمشق | 2 | 260،261 |
| مكة المكرمة | 2 | 111،136 |

---

[1] لمعرفة عناوين هذه المؤلفات. ينظر/ ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ص 35، 36، 39، 43، 44، 45، 50، 57، 67، 76، 90، 141، 142، 150، .286 255 .254 .253 (252 (249 (248 246 245 (237 161) 165) 173. 235)

[2] المؤلفات التاريخية التي درسها التجيبي في جاية فقط دون غيرها هي : كتاب "المقتضب من حلية الأولياء"، كتاب "الضعفاء والمتروكينا"، كتاب "طبقات القراء"، كتاب "درر السمط"، كتاب "القصد والأمم"، كتاب "مشتبه النسبة."

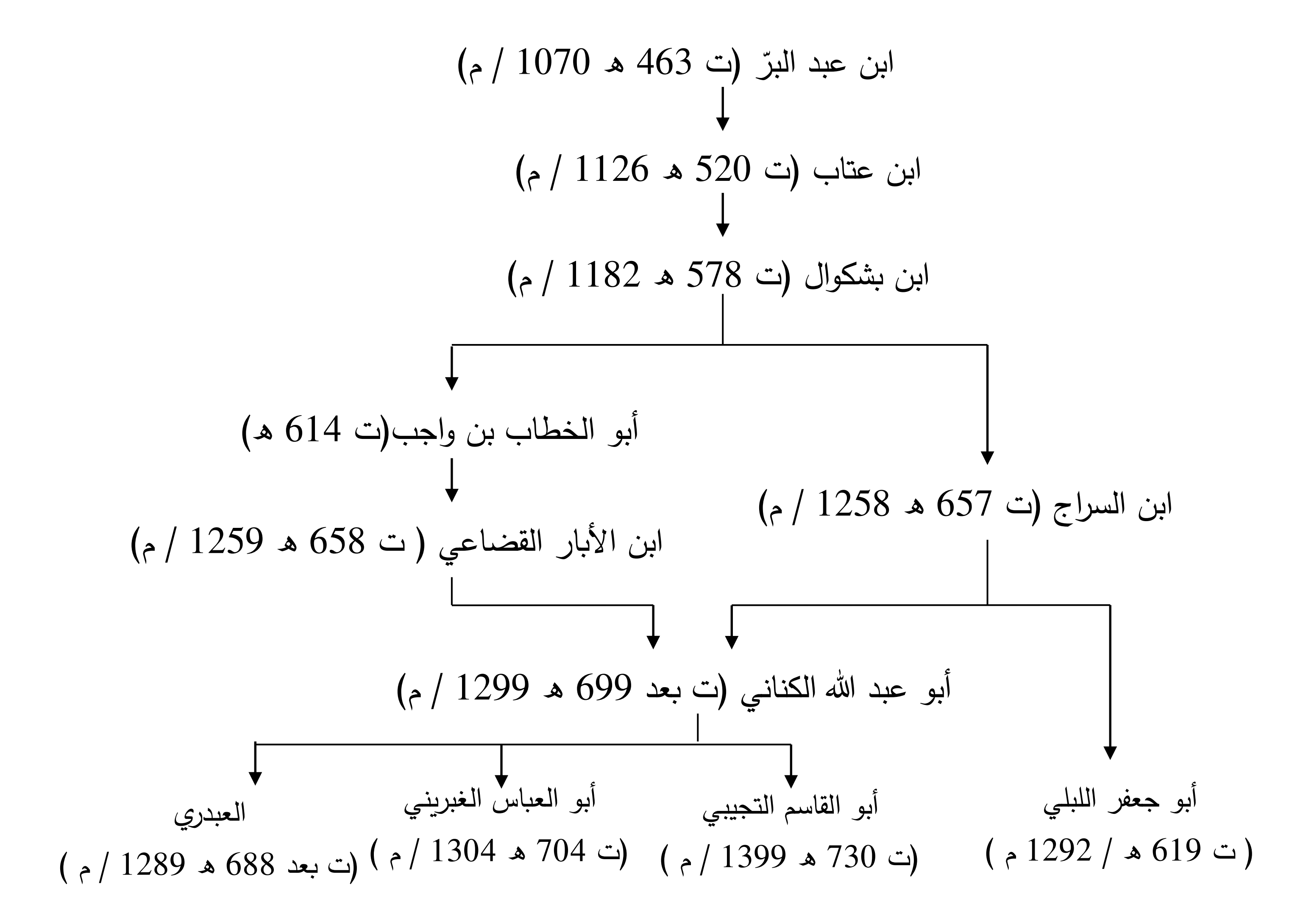
[3] التحق التجيبي حلقات الشيوخ التي كانت تعقد في مختلف حواضر مصر، ودرس كما مجموعة معتبرة من المؤلفات التاريخية حيث كان نصيب الإسكندرية الأعلى بمجموع 4 مؤلفات تاريخية تليها القاهرة بمجموع 3 مؤلفات أما مدينة قوص، الفسطاط والقرافة، فنصيب كل واحدة منها مؤلف واحد.

ما نريد التأكيد عليه من خلال هذه الإحصائية، هو توضيح أهمية مدينة بجاية، كحاضرة علمية كانت من أبرز النقاط التي ساهمت في التكوين التاريخي للتجيبي في رحلته العلمية[1] ، التي قام بها مع نهاية القرن السابع هجري وقد مثّل شيخه أبي عبد الله الكناني نقطة الارتكاز الأساسية بها.

ومن أجل إعطاء صورة أوضح عن أهمية الشيخ أبي عبد الله الكناني واعتباره حلقة وصل بين العدوتين الأندلسية ممثلة في الراوية المؤرخ ابن عبد البر النمري وتلامذته من بعده، والمغربية ممثلة في طلبة الحلقة في بجاية .والكشف عن أبرز أسماء الشيوخ المؤرخين الأندلسيين الذين شكلوا حلقة وصل في سلسلة أسانيد الرواية التاريخية، موضحة في هذه السلسلة:

[1] من مؤلفات التجيبي رحلته العلمية الموسومة بمستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1975. لكن ضياع قسم كبير منها خصوصا الجزء المتعلق ببلاد المغرب، فوت علينا فرصة الاستفادة منها.






**رواج مؤلفات السيرة النبوية وكتب التراجم والطبقات المشرقية والأندلسية في الحلقة :**

إن قراءة فاحصة لنوعية المؤلفات التاريخية التي كانت مدار التلقين في بجاية القرن السابع هجري، تؤكد على الانتشار الواسع لكتب السيرة النبوية، في مقدمتها: اثنان مشرقيان هما "سيرة ابن إسحاق " و"شمائل" الترمذي واثنان أندلسيان ونعني كما "الدر في اختصار المغازي والسير" لابن عبد البر النمري وكتاب "الروض الأنف" لأبي القاسم السهيلي، أما الكتاب المغربي الوحيد فهو كتاب "الشفا" للقاضي عياض، هذه الخمسة عناوين تعكس انفتاح الوسط العلمي

البجـــائي علـــى مختلـــف التيـــارات الإخباريـــة، مـــع تركيـــز اهتمامهـــا علـــى كتـــب الســـيرة النبويـــة، باعتبارهـــا تمحـــور حـــول شخصـــية الرســـول صـــلى الله عليه و سلم .

أما كتب التراجم والطبقات التي تمّ تداولها في هذه المرحلة على الأقل، تشترك كلها في العناية بتراجم رواة الحديث، الذي له علاقة مباشرة بعلم" الجرح والتعديل "أو ما يعرف ب" علم الرجال"، ومنه كانت الحاجة ماسة إلى معرفة سلسلة رجال الحديث أنسابهم، قبائلهم وتراجم أهل العلم المعتمد عليهم. وعليه يمكن التأكيد على أن الاهتمام بالأثر النبوي، أقوال، وأفعال ومغازي الرسول ...الخ، قد ولّد ذلك الاهتمام بسيرته ورواة أحاديثه ومن ثمة نشطت حركة التدوين في موضوع السيرة ومغازي الرسول، بالطبع كان ذلك حافزا كافيا لتداول هذه المؤلفات في حلقة الشيوخ وانتشارها دون غيرها من المؤلفات التاريخية الأخرى، فقد استمدت أهميتها من أهمية الموضوع الذي تدور حوله.

**تنامي الوعي التاريخي في بجاية القرن السابع هجري :**

من دون أي تردد، يمكننا الجزم بالدور البارز الذي لعبته المشيخة الأندلسية من طبقة المؤرخين، فيتنشيط الوعي التاريخي ببجاية على وجه الخصوص خلال القرن 7 ه 13 / م، إذ مثّلت نقطة استقطاب واسعة لهذه العناصر النشطة .وبالرجوع إلى الوراء وبالتحديد إلى بجاية الحمادية، تتكشف لنا الصورة الباهتة التي صبغت الوعي التاريخي بالمنطقة، إذ لم تعرف تقاليد تاريخية واضحة بأسس وقواعد

صلبة [1]، وهو مايفسر لنا إلى حد كبير قلّة المهتمين بالدراسات التاريخية في المنطقة، يوازيه ذلك ندرة المؤلفات وإن وجدت فهي ضائعة[2] ، على غرار الكتاب التاريخي الذي ألّفه حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي، لصالح 1121 م(، اطلع عليه 515 - ه / - 1104الأمير الحمّادي العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علّناس498 ) ابن الأبّار ونقل عنه في كتابه التكملة [3]، ومن المحتمل أن يكون قد عثر عليه ابن الأبار في المدة التي أقامها في بجاية، ومن ثمة استعان به في الترجمة للمؤرخ أحمد بن أبي العرب بن تميم القيرواني .

لكن خلال القرن السابع هجري، بدأت اهتمامات بعض النخب العلمية المحلية تتوجه إلى الاهتمام أكثر بالكتابات التاريخية، واكب ذلك ظهور مجموعة معتبرة من المؤلفات التاريخية المحلية، التي ركزت اهتمامها على تاريخ المنطقة. وعليه سوف نسلط الضوء على اثنين ممن نعرف مؤلفاتهم التاريخية:

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصنهاجي (ت 628 هـ / 1230 م)"[4]، ينحدر من سوق حمزة (البويرة حاليا)، له "تلخيص" على تاريخ الطبري، كما ألف كتاب "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية

---

[1] من الدراسات التي سلطات الضوء على المسار العام للكتابة التاريخية المغربية المحلية خلال القرون الهجرية الأولى سلسلة المحاضرات التي ألقاها محمود إسماعيل على طلبة الدراسات العليا بمكناس، ونشرت تحت عنوان "الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي"، منشورات الزمن، الرباط، 2001. إضافة إلى سلسلة المقالات التي أنجزها علاوة عمارة باللغتين العربية والفرنسية، وقد تمت الإشارة إلى مقالين منها في وقت سابق. إضافة إلى مقال آخر تحت عنوان "ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، عدد 21، (2002)، ص ص 67-95. وأتبعه بدراسة ثانية حول شخصية الرقيق القيرواني مع التركيز على دوره في بلورة الفكر التاريخي بلاد المغرب وجاء تحت عنوان "الرقيق القيروا في وبلورة الفكر التاريخي بلاد المغرب"، مجلة التاريخ العري، عدد 25، (2003)، ص ص 111-144.

[2] مجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المرجع السابق، ص ص 32-83.

[3] ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، 1986م، 1/111.

[4] ينظر ترجمته: الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص ص 192-194. ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، 18 225-323



ويجايـــة"[1]، وهـــو يمثـــل العـــودة إلـــى تمجيـــد ماضـــي الســـلالة الصـــنهاجية التـــي ينتمـــي إليهـــا، والكتابـــان المـــذكوران معـــدودان ضـــمن الكتـــب الضـــائعة، إضـــافة إلـــى برنـــامج شـــيوخه الضـــائع أيضـــا، اطلـــع عليـــه الغيرينـــي وأشـــاد بمضـــمونه"[2]. وقـــد وصـــلنا مـــن مؤلفاتـــه تلـــك كتابـــه "أخبـــار ملـــوك بنـــي عبيـــد وســـيرتهم"[3] الـــذي حـــاول فيـــه تـــدوين أخبـــار الخلفـــاء الفـــاطميين فـــي بـــلاد المغـــرب، فـــي محاولـــة منـــه إضـــفاء صـــبغة الشـــرعية علـــى الخلافـــة الفاطميـــة التـــي ســـلمت زمـــام الحكـــم للســـلالة الصـــنهاجية التـــي ينحدر منها.

ومـــع نهايـــة القـــرن الســـابع هجـــري تطـــل علينـــا الشخصـــية الثانيـــة، التـــي تعتبـــر مـــن أبـــرز الشخصـــيات المحليـــة القريـــة مـــن دواليـــب الســـلطة، نعنـــي بـــه " كبيـــر بجايـــة وصـــاحب شـــوارها" أبـــا العبـــاس الغيرينـــي الـــذي ذهـــب ضـــحية بطانـــة الســـلطان". يمثـــل كتابـــه "عنـــوان الدرايـــة" اتجاهـــا تاريخيـــا مألوفـــا فـــي الغـــرب الإســـلامي الوســـيط، يمكـــن نعتـــه بكتابـــة تاريخيـــة محليـــة بيوغرافيـــة بامتيـــاز، تركـــزت علـــى تـــراجم الشخصـــيات البجائيـــة المحليـــة والـــواردة إليهـــا خـــلال القـــرن 7 هـــ / 13 م، وتكمـــن أهميـــة كتابـــه هـــذا فـــي اعتمـــاده علـــى الأحكـــام والتســـجيلات القضـــائية التـــي كانـــت - ."بحوزتـــه باعتباره قاضي المدينة[4] .

علـــى أن الوســـط العلمـــي البجـــائي خـــلال القـــرن 7 هـــ / 13 م، لـــم يقتصـــر فقـــط علـــى احتضـــانه لشخصـــيتي ابـــن حمـــاد والغيرينـــي، بـــل عـــرف أيضـــا شخصـــيات محليـــة أخـــرى محســـوبة علـــى فئـــة المهتمـــين بالأخبـــار، وهـــو الأمـــر الـــذي تكشـــفه لنـــا مطالعـــة تـــراجم الغبرينـــي فـــي "عنـــوان الدرايـــة "

---

[1] ينسب صاحب الذيل والتكملة، 8/324. عنوانا آخر لابن حماد "الديباجة في أخبار صنهاجة"، يؤكد على أنه غير كتاب "النبذ اختاحة في أخبار صنهاجة ."هذا العنوان الأخير نسبه إليه الغريني، المصدر السابق، ص 194.

[2] المصدر نفسه ، 193.

[3] العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص73.

[4] استعان الغيريني بالسجلات القضائية التي استطاع الوصول إليها في جاية، في التثبت من تولي كل من الشيخ أبي محمد عبد الحق الاشبيلي (ت 582 هـ / 1186 م) والشيخ أبي تميم ميمون (ت 584 هـ / 1188 م) منصب قضاء بجاية مدة قليلة. حولها ينظر: الغبريني، المصدر نفسه، ص 73، 183.



أيـــن زودنـــا بـــثلاث شخصـــيات محليـــة نعتهـــا بـــ "التاريخيـــا". والجـــدول التالي يوضح ذلك:

| اسم الشخصية | الصفة العلمية | أصله | منصبه في بجاية | شيوخه في بجاية | الصفحة |
|---|---|---|---|---|---|
| أبو محمد عبد الله بن عبادة القلعي (ت 669 ه / 1270م) | التاريخي... حافظا للتاريخ | قلعة بني حماد | -انتصب للتدريس | غير وارد | 93 |
| أبو عبد الله محمد بن ميمون القلعي (ت 673 ه / 1274م) | المحصل التاريخي | قلعة بني حماد | -انتصب للتدريس | -أبو المطرف بن عميرة -أبو ابن محرز البلنسي | 94-99 |
| أبو عبد الله محمد بن يحيالدلّسي | له علم بالتاريخ | تدلس | -قاضي بعض كور بجاية -طبيبا مزاولا ومعالجا | غير وارد | 294 |

**من الجدول يمكن قراءة نقطتين أساسيتين:**

- علـــى الـــرغم مـــن تأكيـــد الغبريخـــي علـــى الصـــفات العلميـــة التـــي تمتعـــت كمـــا الشخصـــيات المشـــار إليهـــا، والتـــي تعكـــس فـــي مجملهـــا اهتمامـــاتحم التاريخيـــة، إلا أننـــا لا نعـــرف لهـــم كتابـــا فـــي التـــاريخ، مـــا يزيـــد الأمـــر تعقيـــدا، أن مصـــدر الغيرينـــي انفـــرد بالترجمـــة لهـــذه الشخصـــيات علـــى الأقل بالنسبة للمصادر التي بين أيدينا.
- أن الشخصـــيات الـــثلاث لا تنتمـــي إلـــى بجايـــة المدينـــة، بـــل اثنـــان منهـــا ينحـــدران مـــن القلعـــة العاصـــمة الأولـــى للحمـــاديين، يضـــاف إليهمـــا ابـــن حمـــاد الصـــنهاجي القلعـــي، وهـــو مـــا يشـــير إلـــى اســـتمرارية القلعـــة وأحوازهـــا فـــي تقـــدم نمـــاذج بـــارزة، لشخصـــيات محليـــة فاعلـــة فـــي الوســـط

العلمـــي البجـــائي، وإثبـــات مقـــدرتها علـــى تـــولي مناصـــب مهمـــة. لكـــن رغـــم أهميـــة هـــذه التـــراجم التـــي عرضـــها علينـــا الغبرينـــي، إلا أخـــا لا تشـــكل لنـــا فـــي عمومهـــا مـــادة خبريـــة كافيـــة، يمكـــن التعويـــل عليهـــا فـــي الوصـــول إلـــى حقيقة النشاط التاريخي لهذه الأخيرة

- فمـــثلا شخصـــية ابـــن ميمـــون القلعـــي وإن علمنـــا بجلوســـه خلقـــة شـــيخين مـــن كبـــــار الشـــــيوخ الأندلســـــيين مـــــن ذوي الاهتمامـــــات التاريخيـــــة، إلا أن الغيرينـــي لا يكشـــف لنـــا عـــن طبيعـــة المـــواد التـــي درســـها عليهمـــا. وعليـــه فإننـــا أمـــام هـــذا الشـــح فـــي المعلومـــات، نجـــد آنفســـنا مكتفـــين فقـــط بالتأكيـــد علـــى تحلـــي هـــذه الشخصـــيات المحليـــة بالصـــفة العلميـــة الصـــريحة التـــي ثبتها الغبريتي بالقول " لتاريخي"، "له علم بالتاريخ ".

أقـدم فـي ختـام هـذا العمـل الـذي تناولـت فيـه الموضـوع " ابـن الآبـار البلنسـي فـي بجايـة القـرن 7 ه/13 م مـن خـلال كتابـه صـلة التكملـة "أهـم الاسـتنتاجات المتوصـل إليهـا المتبوعـة بعـض الملاحظات:

عرفـت الحيـاة السياسـية بالأنـدلس و بـلاد المغـرب الكثيـر مـن الأحـداث و الصـراعات بـين المسـلمين فيمـا بيـنهم مـن جهـة ,و بـين المسـلمين و النصـارى مـن جهـة أخـرى ,و أدت إلـى سـقوط المـدن و الممالـك الاسـلامية بالأنـدلس فـي أيـدي النصـارى ,و تراجـع المسـلمين و هجرتهم إلى المشرق و المغرب .

اسـتطاعت بجايـة أن تقـاوم و تتـأقلم مـع كـل التيـارات الداخليـة و الخارجيـة وأن تحـافظ علـى اسـتمراريتها، ففـي عهـد الحمـاديين مثلـت بجايـة الاسـتمرار لعهـد القـوة عسـكريا و سياسـيا و حضـاريا، فقـد شـاهدت قفـزة فـي ميـدان العمـران والثقافـة ثـم الموحـدون الـذين أولوهـا اهتمامـا كبيـرا و حرصـوا علـى احاطتهـا بأهـل العلـم والشـورى مـن أمـراء الدولـة و مشـايخها و نفـس الوضـع شـهدته فـي العهـد الحفصـي فكانت تعتبر العاصمة الثانية بعد تونس.

ولقـد سـاعدت عـدة عوامـل فـي ازدهـار الحيـاة الثقافيـة و العلميـة بـالمغرب الأوسـط بمـا فيهـا بجايـة منهـا درجـة التشـجيع التـي أولاهـا بنـي حفـص للعلـم و المتعلمـين ولحركـة التـأليف و خلـق مجـالات تنافس بينها.

انتشـار مراكـز التعلـيم كالمسـاجد و الكتاتيـب و الزوايـا التـي أدت دورا هامـا فـي الازدهـار الحضـاري ,فقـد كانـت مقصـدا لطـلاب العلـم مـن مختلـف أنحـاء المغـرب الاسـلامي ,هـذا إلـى جانـب دور السـلاطين و الأمـراء فـي تفعيـل نشـاط الحركـة العلميـة ,و كـان للمهـاجرين الأندلسـيين دورا كبيـرا و فعـالا فـي اثـراء الثقافـة ببجايـة ,فبعـد أن انتقلـت الوفـود الأندلسـية إلـى مدينـة بجايـة لعـدة عوامـل



حصـــل تبـــادل معرفـــي و انصـــهار فكـــري بـــين العـــدوتين، ويمكـــن القـــول أن هـــؤلاء المهـــاجرين الأندلســـيين أثَـــروا فـــي النهضـــة الفكريـــة ببجايـــة وذلك في مختلف تخصصاتهم وتوجهاتهم.

وقد عمل حكام الإمارات المستقلة عنهم في الأندلس و بلاد المغرب على ترقية الحياة الفكرية ، و بذلوا جهودا كبيرة في بناء المراكز الثقافية، وجلب العلماء وتقريبهم ، ولم تخب جذوة العلم والمعرفة في أبناء الأندلس والمغرب حتى في أحلك الأيام وأصعب الأوقات ونبغ الكثير من العلماء و المثقفين في جل مجالات العلم والمعرفة ، ومن أمثال هؤلاء العلماء: ابن الأبار القضاعي الأندلسي الفقيه المؤرخ الكاتب الشاعر.

وينحدر ابن الأبار من قبيلة عربية، هي قبيلة قضاعة اليمنية التي استوطن جل أفرادها المهاجرين شرق الأندلس خاصة مدينتي أندة وبلنسية والمناطق المجاورة لهما

نشأ ابن الأبار في بيت علم و ثراء ، تنشئة صالحة محاطا برعاية عائلته التي وفرت لابنها ظروفا تساعد على النبوغ التفوق، فشب الشاعر شغوفا بالمعرفة، حريصا على طلب العلم؛ فقد كان والده من أعيان بلنسية وعلمائها.

كان مسار ابن الأبار في طلب العلم حافلا وثريا، فقد حفظ القرآن عن والده وأخذ العلوم الشرعية واللغة والأدب، إذ تتلمذ على أكثر من مائتي شيخ من علماء الأندلس ، وفق نظام الدراسة المتبع وقتئذ وهو نظام الاستماع والإجازة. لم يركن ابن الأبار للراحة و الفراغ بل لقد كانت الرحلة لطلب العلم والسفر لتحصيل المعارف، الأمر الذي يفسر نبوغه المبكر ومكانته التي حققها.

شغل ابن الأبار مناصب سياسية مرموقة ، فقد قربه بعض الحكام و الأمراء ،بالأندلس أو بالإمارة الحفصية ، لعلمه الغزير و كفاءته في إدارة شؤون الحكم. عرف ابن الأبار بنفسيته المتأججة

وحدة في طبعه كانت تعتريه ، نغصت عليه حياته و جلبت له العقاب و غضب الأمراء الحفصيين ، فقد تعرض للإبعاد عن الخدمة بالبلاط الحفصي و النفي إلى بجاية في الكثير من المناسبات.

توفي ابن الأبار بتونس يوم الثلاثاء21 ( محرم سنة 658 هـ / 6جانفي 1260 م) ،بعد أن بلغ من العمر ثلاثا وستين سنة حيث أقدم المستنصر الحفصي على قتله وإحراق جثته وكامل كتبه بعد أن وجهت له العديد من التهم، فقد وقع ابن الأبار ضحية مؤامرة حيكت حوله بإحكام ، و تحالفت ضده أطراف عملت في السر والعلانية على التخلص منه، و راحت تجمع ضده التهم و تستثمر الفرص للإيقاع به ؛ لأنه يشكل تهديدا لمصالحها بالبلاط الحفصي و لم تدخر هذه الأطراف جهدا في سبيل تحقيق غايتها المنشودة فكانت نهايته نهاية مأساوية.

اشتهر ابن الأبار القضاعي بغزارة التأليف و جودة التصنيف فقد ألف ما يزيد عن الخمسين كتابا في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية : التاريخ ، الفقه ،الحديث ، سير و تراجم الأعلام الأدب نثرا و نظما ، اللغة ، و نشرت بعض كتبه بعد تحقيقها من طرف ثلة من الباحثين و الأساتذة المحققين عربا و مستشرقين. ترك ابن الأبار ديوانا شعريا يضم العديد من الأغراض الشعرية ، وخاصة المديح الذي يغطي أكثر من ثلثي الديوان معظمه في مدح الأسرة الحفصية الحاكمة فقد كان يقيم في بلاطهم منذ سنة 636 هـ إلى غاية مقتله سنة 658ه، وقد قام الأستاذ عبد السلام الهراس بتحقيق هذا الديوان و نشره سنة1986م.

***القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم.***

## ***أولا: المصادر***

- النبـــاهني علـــي ابـــن عبـــد الله(ت793 ه-1228م)، المرقبـــة العليـــا فـــي مـــن يستحق القضاء و الفتية، دار الآفاق، بيروت، 1980م.

- ابـــن الآبـــار، معجـــم شـــيوخه، تحقيـــق/ محمـــود الـــدومي، مكتبـــة الثقافـــة الدينية، القاهرة، 2010م.

- ابـــــن الآبار،الحلـــــة الســـــيراء،ج 1، ط1، تحقيـــــق/ حســـــن مـــــؤنس، دار المعارف، القاهرة،1963م.

– ابـن الأبـار أبـو عبـد الله محمـد، التكملـة لكتـاب الصـلة، تحقيـق /السـيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1956 م.

– ابـن الأبـار أبـو عبـد الله محمـد، الـديوان، تحقيـق/ عبـد السـلام الهـراس، الـدار التونسـية للنشـر/ ديـوان المطبوعـات الجامعيـة، تـونس /الجزائـر، ط2، 1986م.

– ابـن الأبـار أبـو عبـد الله محمـد، المقتضـب مـن تحفـة القـادم ، تحقيـق / إبراهيم

– ابـن الخطيـب لسـان الـدين، تـاريخ إسـبانيا الإسـلامية ( أعمـال الأعـلام فيمن بويـع قبـل الاحـتلام مـن ملـوك الإسـلام )، تحقيـق /ليفـي بروفنسـال، دار المكشـوف، لبنان،الأبيـاري، دار الكتـب الإسـلامية /دار الكتـاب المصـري / دار الكتاب اللبناني ، ط2

ط2، 1956 .

- ابـــن الزبيـــر أبـــو جعفـــر أحمـــد ابـــن الزبيـــر(ت 707 ه – 1380م )، صـــلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، 1937م .

- ابـــن الفرضـــي عبـــد الله ابـــن محمـــد الأردي (ت 403 ه-1012م)، تـــاريخ علمـــاء الأنـــدلس تحقيـــق ابـــراهيم الأبيـــاري، دار الكتـــاب المصـــري ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- ابـــن القنفـــد القســـطنطيني، الفارســـية فـــي مبـــادئ الدولـــة الحفصـــية، تحقيق/محمـــد الشـــادلي النيفـــر عبـــد المجيـــد عبـــد الله، الـــدار التونســـية للنشـــر، تونس، 1948م.

- ابـــن بشـــكوال خلـــف ابـــن عبـــد الملـــك (ت578 ه-1183 م)، الصـــلة، تحقيـــق/ ابـــراهيم الأبيـــاري، دار الكتـــاب المصـــري ودار الكتـــاب اللبنـــاني، بيـــروت، 1989م.

- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م.

- ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981 م.

- ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق/ عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

- ابن سعيد علي بن موسى المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق/شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، دت.

- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم /محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد الريحي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 م.

- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، الوفيات ، تحقيق/ عادل نويهض ، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1، 1971 م.

- التجيبي أبو بحر صفوان بن إدريس، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه /عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م.

- الحميـــدي محمـــد ابـــن فتـــوح ( ت 488 ه- 1095 م)، جـــذوة المقتـــبس، تحقيق/ محمد ابن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1952 م .

- الـــذهبي محمـــد ابـــن الأحمـــد ( ت 778ه-1347)، ســـير أعـــلام النـــبلاء (24جـــزء)، تحقيـــق/ بشـــار عـــواد معـــروف ومحـــي هـــلال الســـرحان، مؤسســـة الرسالة، بيروت، 1984م.

- السويدي محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت.

- الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت ، ألمانيا ، ط2، 1991 م.

- الغبريني أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق/ رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970 م.

- القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق /محمد لحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966 م.

- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر ،القاهرة، دت.

- الكتبي أحمد بن شاكر، فوات الوفيات ، تحقيق /إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1974 م.

- المراكشـــي محمـــد بـــن عبـــد الملـــك(ت 703 ه-1301 م)، الـــذيل والتكملـــة (خمسة أجزاء)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.

- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق /إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 م.
- عيـــاض ابـــن موســـى ابـــن عيـــاض (ت 544ه- 1149م)، ترتيـــب المـــدارك وتقريـــب المســـالك إلـــى معرفـــة أعيـــان مـــذهب الإمـــام مالـــك، تحقيـــق/ أحمـــد بكيـــر محمود، مكتبة الحياة، بيروت، 1969م.
- محمـــد ابـــن محمـــد الأندلســـي الـــوزي الســـراج، الحلـــل السندســـية فـــي أخبـــار التونســـية، تحقيـــق/ محمـــد الحبيـــب هيلـــه، الـــدار التونســـية للنشـــر، ج 1، القســـم 4، 1970 م.
- محمـــد المنـــوفي، ورقـــات عـــن حضـــارة المـــرينيين، ط2، مطبعـــة النجـــاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996 م.
- محمـــد بـــن طولـــون، فـــص الخـــواتم فيمـــا قيـــل فـــي الـــولائم، ط1، مطبعـــة دمشـــق، سوريا، 1983م.

1982م.

***ثانيا المراجع:***

- أحمـــد الطـــويلي، فـــي الحضـــارة العربيـــة التونســـية، ط1، دار المعـــارف، تونس، 1988م .
- الأنصـــاري محمـــد الســـعيد، التفاعـــل الثقـــافي بـــين المغـــرب والمشـــرق، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993م.
- العبـــادي أحمـــد المختـــار، تـــاريخ المغـــرب و الأنـــدلس، ( دط )، مؤسســـة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2008م.
- عبـــد الـــرحمن بـــن محمـــد الجيلالـــي، تـــاريخ الجزائـــر العـــام، ديـــوان المطبوعات الجامعية، ج2، ط7، الجزائر، 1995م .

- كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت.

- لعموري عليش، تصنيف العلوم في الفكر الاسلامي "الفاري , الغزالي , ابن خلدون"، دار هومة، الجزائر، 2009م.

- محمد علي الصلابي، دولة الموحدين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 2007م.

- مختار الحساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

- مقلد محمد يوسف، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1962م.

– حمادي عبد الله، دراسات في الأدب المغربي القديم ، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر ط1، 1406ه/ 1986م,

– الصلابي علي محمد، دولة الموحدين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 2007م.

– عبيدات داود عمر سلامة، الموحدون في الأندلس، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2005م.

– العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب ( في عهد عبد المؤمن بن علي)، وزارة الثقافة ( الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، الجزائر، 2007 م.

-عنان محمد عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ط1، 1964م.

***الدوريات:***

- يوســـف أحمـــد بنـــي ياســـين، تعقبـــات ابـــن الأبـــار فـــي كتابـــه التكملـــة لكتـــاب الصـــلة علـــى ابـــن بشـــكوال فـــي كتابـــه الصـــلة، المجلـــة الأردنيـــة للآثـــار والتـــاريخ، المجلد6، العدد3، 2012م، الأردن.

- يوســـف بـــن ياســـين الحســـن ابـــن محمـــد القبشـــي (ت بعـــد 430 ه '1038م)، الاحتفـــال فـــي تـــاريخ أعـــلام الرجـــال، مجلـــة الدراســـات، الجامعـــة الأردنيـــة، المجلد36، العدد3، تشرين الأول 2009م.

- العلمـــي لـــراوي، ابـــن الأبـــار بـــين التـــأليف والابـــداع، مجلـــة العلـــوم الإنســـانية، جامعـــة منتـــوري قســـنطينة، الجزائـــر، عـــدد13، جـــوان2000م، شـــركة دار الهدى، عين ميلة، الجزائر.

# فهرس المحتويات